# رواية

# الساحرة

إلى كل مصرى

بقلم

الكاتب الروائى المصرى

**محمد عبيد**

حقوق الطبع محفوظة

Amly

www.alkottob.com

رواية

# الساحرة

www.alkottob.com

# رواية

# الساحره

بقلم

« الكاتب الروائي المصري »

« محمد عبيد »

( الطبعة الاولى — سنة ١٩١٩ )

حقوق الطبع محفوظة

(المطبعة المرقسية بالدرب الواسع بمصر)

الى الكل مصرف

www.alkottob.com

## الفصل الاول

### ( الزعيم )

كان الفتيان الثلاثة يأوون الى حجرتهم المعروفة كلما اقبل الظلام وتوارت اية النهار

وكان الوقت شتاء واخبار السلب والقتل تأتيهم من كل جانب فلا يمر بهم يوم او ساعة حتى يسمعوا خبراً او اخباراً من هذا القبيل . وهم كلما سمعوا شيئاً من ذلك اخذوا يغضبون ويسبون هذه العصابات وزعماءها بسمع من هؤلاء الزعماء واتباعهم حتى ظن اهل الفتيان الثلاثة ان حياة ابنائهم لن تطول بعد هذه الجرأة في التعرض لسخط اولئك الاشقياء والسفاكين . واصبح اقاربهم واصدقاءهم يعدون البعد عنهم غنيمة وربحاً . فان سلب الارواح وسفك الدماء كان في هذه الايام شائعاً معروفاً .

واجتمع ثلاثتهم ذات ليلة في حجرتهم وكانت هذه الحجرة على قارعة الطريق .



وكانت ليلة حالكة الظلام كثيرة البروق والرعود فأخذوا في اللهو والضحك حتى كادت ضوضاءهم تختفي معها زمجرة الرياح والعواصف

وكان عبد الرحمن اكثر الفتيان الثلاثة استخفافاً بالمصوص وسطوتهم .

وكان اشقياء القرية وما جاورها يميلون الي مجالسة هؤلاء الفتيان ومحادثتهم مع ما كانوا يسمعونهم من الفاظ السباب والانتقاص .

وكان الاشقياء اذا جلسوا الي الفتيان الثلاثة ورأوا منهم انقباضاً قالوا اننا نشتري كل ساعة تنفقها في محادثتكم بكل ما نستطيع ولو اشبعتمونا سباً ولعناً .

فلما كانت تلك الليلة اخذ الفتيان في السهر كعادتهم حتى مضى شطر من الليل والقرية في سبات وسكون .

فقال عبد الرحمن : ايها الاخوان الا تسمعون هبوب الرياح وزمجرة العواصف فهل من بقية شراب نقطع بها هذه الليلة الحالكة .

www.alkottob.com

فقال شفيق : ذلك امر ميسور ولكني اخشى ان يدخل علينا بعض اراذل الاشقياء فنشركه بحكم المجاملة في شرابنا وانتم تعرفون شدة حرصي وبخلي به على غيركم وخصوصاً اولئك اللصوص الذين كلما ابعدناهم عنا التصقوا بنا وطفوا بمجالسنا فبعداً لهم من قوم ثقلاء.

قال عبد الرحمن : ولية مجاملة عندك لاؤلئك الملاعين حتى تحرمنا الشراب من اجلهم في هذه الليلة وانا اقسم لو دخل علينا الآن الزعيم فتوح اكبر سفاح في هذه البلاد لما شاركنا في جرعة واحدة من شرابنا ولعنة لله على امرء يجامل لصاً او يلتق مجرماً.

وما كاد عبد الرحمن ينتهي من كلامه حتى ظهر بغتة وراء شباك الحجرة رجل ضخم الجثة

فقال وهو يطل عليهم : سلام ايها الفتيان

ثم تحول الى الباب ولما استقر به الجلوس قال : لعلي ثقلت عليكم بزيارتي في مثل هذه الساعة ولكن ليس الذنب لي فاني مررت بكم وانتم في لهوكم وسروركم فقلت هذه



فرصة لا تفوتني والفتيان الثلاثة اهل شمائل ورقة فهم لا يبخلون على بساعة اقضيها في محادثتهم ولو كانوا لا يعرفونني قبل اليوم .

وكان الرجل اجش الصوت جباراً له جسم هائل ووجه مكفهر وحلية جعلت هيئته الى الوحوش اقرب . وقد اعجب الفتيان بفصاحته وحسن حديثه ولم يلبثوا ان جاءهم خادم بجمل زجاجة واقداحاً فامره شفيق ان يبدأ بالزائر وما ناوله الخادم الكاس امسك بها ولبث ينظر الى الفتيان حتى افرغوا كؤوسهم ثم قال وهو يضع كأسه على المائدة .

ايها الاخوان لست استطيع ان اذوق هذه الكاس واذا شربتها فاني ظالم خادع .

ولم يترك لهم مجالاً للكلام بل صفق بكفيه فدفع باب الحجرة وظهر منه عبد طويل القامة عريض الكتفين فقال الزائر : ماذا اعددت لنا في هذه الليلة يا اخا السودان

فرجع الاسود ادراجه ثم عاد وفي يده زجاجتان كبيرتان فاخذ الضيف يملأ بيده ويسمي الفتيان وهو

www.alkottob.com

يشرب معهم شرباً مفرطاً .

وكانوا قد ذهب بهم الحديث كل مذهب ولم يريدوا ان يتعرضوا لهذا الزائر الغريب في شيء من امره .

ثم التفت الزائر الي عبد الرحمن قائلاً اترى ياسيدى ان خمرى طيبة معتقة .

قال : نعم واني لاحسدك عليها

وعند ذلك صفر الرجل صفيراً منقطعاً فدخل الاسود مسرعاً واقبل حتى وضع على المائدة شواء عظيماً كان يحمله فلم يملك الجماعة ان دهشوا .

فقال شفيق : ماذا ارى ؟ اظننت يا سيدي انك نازل بقوم لا يطعمون ضيفاً ؟

قال : هذا عشائي حملته معي وهذه عادتي في كل اسفاري على انكم لو جئتموني بكل اصناف الطعام لما تناولت غير هذا الشواء الشهي

ثم اندفع يأكل بكلتا يديه ودعاهم الى مشاركته فاعتذروا اليه . وفيما هو يأكل التفت الى عبد الرحمن وقال



مداعباً : اني وحقك لفى ظمأ فهل من كوبة ماء

فقال عبد الرحمن وهو يبتسم لعلنا نجدها

فقال الزائر : ـ ومع ذلك ارجو ان يكون الماء عندكم اقل شأناً من الشراب والا احترقت كبدي ومت ظمآن فى هذه القرية

وكان رياض جالساً يتأمل الزائر ويفكر في امره فلما رآه يخاطب عبد الرحمن بلهجة المداعبة خطر له ان الرجل لا بد ان يكون من كبار الزعماء وانه سمع ما دار بينهم من الحديث قبل دخوله واراد ان يستجلي الحقيقة فقال للزائر : ولكن الشراب يا سيدي ليس له عندنا شأن كما تظن .

فقال : كيف لا يكون له شأن عندكم وهذا صاحبكم واشار الى عبد الرحمن يقسم لو دخل عليه اكبر سفاح في هذه البلاد ما مكنه من جرعة من شرابكم ...

وهنا ضحك ضحكاً عالياً لفت انظار الفتيان اليه .

ثم قال وهو يتهم الشواء اتهاماً : فلو فرضنا اني زرتكم الليلة وليس معي شيء من الشراب لقضيتها ليله بغير طرب

www.alkottob.com

او سرور ... وهذا امر لا يليق بمكارم الفتيان الثلاثة . .

فدهش الجماعة وصح لديهم ان زائرهم فتوح ... الكبير زعماء العصابات والمتاجر في مصر

فجعلوا يعجبون ويضحكون وهو يضحك معهم

وعلموا انه انما امتنع عن مشاركتهم في مشاربهم كيلا يحنث عبد الرحمن في قسمه

وكان اسم هذا الزعيم لا يذكر في دار او قريه الاملأ قلوب سكانها هلعاً وخوفاً

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعوا صهيل الخيل وقعقعة السلاح فعلموا ان رجال الزعيم جاؤا في طلبه

فاطل الزعيم على رجاله من نافذة الحجرة واشار اليهم بيده اشارات غير مفهومة فما لبثوا ان اختفوا عن الانظار تحت غسق الظلام

فلما كانت الساعة الثالثة خرج وهو يقول للفتيان ان رجالى الآن في انتظاري ولو كان لى متسع من وقتي لعرضتهم امامكم كما يعرض القائد الباسل جنده .



## الفصل الثاني

( القوة الهائلة )

اذنت الساعة السادسة وخرج اهل طنطا زرافات ووحداناً كعادتهم في ايام الصيف يقصدون التنزه على شاطيء الجمفرية

وكان ذلك عام ١٨٧٩ افرنكية

وامتلأ طريق الجمفريه الشرقي حتى كاد يضيق بالمتنزهين على اختلاف اجناسهم وتباين ازيائهم وكلهم يستقبل نسيم الاصيل باسماً مستبشراً .

وكان ذلك بعد ستة اشهر من الليلة التي رأى فيها الفتيان وجه الزعيم فتوح لاول مرة

وكان من عادة مدير الغريبه ان يخرج كل يوم فى مثل هذه الساعة الي حديقة صغيرة واقعه تجاه بيته على شاطيء الجمفرية فتلهي بتنظر المياه ومشاهدة المارة والمتنزهين حتى الساعه العاشرة وما كاد يجلس ذلك اليوم كعادته حتى

www.alkottob.com

وقفت امام باب الحديقة عربة ونزل منها رجل له هيئة ومنظر فلما رآه المدير وجم وقال :

لعلك عدت الي مهدداً

فقال الرجل : عفواً يا سعادة الباشا

ـ فما وراءك اذن ؟

ـ انك ادرى بما هنالك

ـ لعل هذا الشقي العاتي لم يعبأ بنصائحي

ـ لو كان ممن يعبأون بالنصيحة لما خاصم غيرك من ...

ـ ولكني لست كغيري واذا كانت نصائحي لا ترد عه

فان المشنقة حاضرة والحكومة غير عاجزة

ـ سيدى

ـ ماذا تريد . اني اعرف غرور هذا الزعيم بنفسه واعلم كغيري شدة بطشه ولا شك انه يتوعدني بالقتل اذا لم اتركه وشأنه وتريد انت ان تكتم ذلك عني واذا كنت في الاعوام الماضية لم أوفق للقبض عليه فأن هذا العام لا ينقضى حتي اعلقه



« على تل الحدادين »

ـ يا سعادة الباشا

ـ لا يهولنك الامر ودعه يتهدد ويتوعد بما شاء

ثم لفت المدير وجهه وهو يغالب ما كان يبدو على ملامحه من غيظ وحنق

وهما كذلك واذا بضجه قامت على شارع القنطرة واعقبها صراخ يصم الاذان ووقع الناس على جانبي الشارع هالعة قلوبهم . ذلك ان جواداً جمح بصاحبه هناك ثم انطلق في طريق مدرسه سنت لويس « الفريره » شرقي رعة الجمفرية انطلاق السهم فلا يمر بمكان الا ارتفعت منه اصوات الرعب واليأس ورآه المدير وهو يعد عدواً يخطف الابصار فكاد يفقد رشده وقال يا له من يوم عصيب .

وقام الناس على العدوه الغربية مما يلى كفر اسكاروس ينظرون ويتلهفون فصاح رجل من بينهم ان الفرس وفارسه يفارقان الحياة بعد دقائق معدوده والا كان مصاب طنطا عظيماً

واقترب الجواد من مدرسه سنت لويس فتحقق الخطر

www.alkottob.com

وانكشف للابصار عن منظر تقشعر لهوله الابدان . فأن تاجراً من سراة السوريين، كان في تلك الساعه يحتفل بزفاف ابنته في كنيسة المدرسة وقد اجتمع خلق كثير على باب المدرسة الخارجي وفيهم عدد لا يحصى من الاطفال والغلمان ابناء المحتفلين بذلك الزفاف وغيرهم وانضم اليهم تلاميذ المدرسة بنون وبنات ففصت بهم تلك الساحة الواسعة ولم يبق فيها موضع قدم لقاصد

وكان هناك شجرة عظيمة تقع على مقربة من باب المدرسة ووراؤها احتشدت هذه الجموع الغفيرة .

فلم يكن للفرس اذ ذاك الا ان يصدم تلك الشجرة فيسقط هو وفارسه قتيلين .

اما اذا جاوزها سالماً فهناك الخطر الذي لا يدفع .

واختطف الكثيرون من استطاعوا من الاطفال والجأوا بهم الى كوبرى الجمفريه الواقع قبالة باب المدرسة فراراً من وجه هذا الموت الاحمر . وقد وقف بقيتهم في حالة من الاضطراب والجزع لا توصف



فأخذ القائمون على الكوبري يغطون وجوههم بايديهم كيلا تقع ابصارهم على هذا المنظر الرهيب .

وفي تلك اللحظة الروعة اقبل من وراء هذا الجمع المضطرب فتى طويل القامة فشق طريقه بينهم بقوة منكبيه ووثب الى الامام رافعاً قبضته كأنه يحاول رد هذا القضاء المبرم .

واقبل الجواد وقد حجبه الغبار عن اعين الناظرين فظن المشاهدون ان هذا الفتى الذي قام في وجه الجواد معترضاً سيكون اول ضحايا ذلك الحادث الفظيع .

ولكن ما اشد ما كانت دهشتهم حينما رؤا ذلك الحيوان الهائج يسقط بغته بين يدي هذا الفتى الجبار فأن الفرس ما كاد يدنو منه حتى التقاه بضربة من قبضته ارجعته الى الوراء بضع خطوات وكانت ضربة مشبعة وقعت بين عينيه فسقط لا هثاً مضطرباً .

فخرج حينئذ من افواه الجمع صوت كصوت الرعد القاصف وهم يصيحون لاشات يمينك من فتى كريم

www.alkottob.com

اما الفارس فكانه حين رأى هذا الشاب واقفاً في وجه جواده يريد كبح جماحه قد ادرك خطر العاقبة اذا ظل ثابتاً في سرجه فوثب عن ظهره الى الارض فاصاب عربه نقل كانت الى جانب الكوبري فشجت رأسه وسقط لا يعي شيئاً .

وكان المحتفلون داخل المدرسة قد راعتهم اصوات اليأس والرعب التي كانوا يسمعونها خارجاً فهرعوا الى الباب ولكنهم لم يشاهدوا من ادوار الحادثة الا سقوط الجواد بين يدي صاحبنا

وقد رؤا اولئك الاطفال والصبية الذين كانوا على قيد شبر من الموت الزؤام وهم لايزالون في دهشتهم يصرخون وقد سقطوا اكداساً .

فاثر هذا المنظر في نفوسهم اينما تأثير وهتفوا للفتى مع الحاضرين هتافاً طبق الفضاء

واحاط الناس بالفارس الطريح وهم لايصدقون بالنجاة من هذه الكارثة . واقبل رجال الشرطة والمدير في اثرهم



وهو في خوف وقلق . ذلك لان ابنتيه الصغيرتين كانتا بين جماعة الاطفال الذين عاشوا بعد الهلاك

وكان المشاهدون قد كثرت جموعهم فاضطر المدير ان يأمر الشرطة بتفريقهم

ولكن خصام البوليس مع هذه الجموع لم يطل

فان ذلك الفتى الذي رأيناه يصرع الجواد بضربة منه قد اقبل يخترق الصفوف حتى دنى من ذلك الفارس الجريح فرفعه على ذراعية وهو يقول يا صديقي !!

واراد البوليس ان يحول بينه وبين اخذه فلم يحفل بهم ومضى كانه لا يحمل شيئاً فاشار اليهم المدير ان لا يعارضوه

وتفرق القوم وعاد المدير يقصد بيته وهو يحمد الاقدار على سلامة ابنتيه ونجاة المدينة من هول ذلك الحادث الذي اوشك ان يقلبها رأساً على عقب

## الفصل الثالث

« سر خطير »

واسرع ذلك الفتى الجبار في خطاه وصديقه الجريح

www.alkottob.com

على ذراعيه فعبر كبري الفرير واوغل في كفر اسكاروس فدخل بيتاً منفرداً هناك تحيط به الاغراس والزهور وفيه مستشفى الدكتور ش. سوتير وهو طبيب فرنساوي كثير الميل الى السكون والبعد عن الضوضاء فاتخذ هذا البيت مستشفى وسكناً .

ولما رأى الفتى وهو يدخل المستشفي اتجه اليه وسأله بعناية ولطف :

ـ عبد الرحمن افندي ماذا اصابك ومن هذا الذي تحمل ؟

ـ هذا صديقي شفيق سقط عن جواده منذ دقائق فحملته اليك وهو كما تراه لا يبدي حراكاً فعجل وحققك يا دكتور بفحصه

فقال الدكتور وهو يجس نبض الجريح :

ـ وكيف كان سقوطه

ـ جمح به جواده فالقاه عن ظهره امام مدرسة الفرير

ـ مدرسة الفرير ! يا للداهية .اذن حدثني بربك كيف



حدث ذلك .

ـ دكتور ! ان صديقي يكاد يهلك . فدعني من الشرح والتفصل الآن وانظر في امره .

ـ اذا كان امر صديقك يهمك فان امر ابنتي وامرأتي يهمني ايضاً اليس كذلك يا سيدي ؟

وكان الدكتور يتكلم وعليه امارات البغتة

فصاح عبد الرحمن وهو يكاد يختنق :

ـ ولكن ما علاقة ابنتك وامرأتك بهذه الحكاية يا دكتور ؟

ـ انهما اعتادتا التنزه على شاطئ الجمفرية كل يوم في مثل هذه الساعه وقد خرجتا الآن كعادتهما واخشى ان تكونا قد اصيبتا بمكروه من جراء هذا الحادث

اطمئن يا دكتور فانه لم يصب غير صديقي هذا وعما قليل توافيك زوجتك وابنتك فتؤكدان لك صدق قولي

فتنفس الطبيب وعادت اليه ملامح السكينة

وبعد حديث قصير خرج عبد الرحمن من المستشفى تاركاً صديقه بين يدى الطبيب .

www.alkottob.com

ولما انتصف الليل افاق شفيق فوجد رأسه معصوباً وكانت هذه المرة الاولى التي فتح فيها عينيه بعد حادثة النهار وليث نحو ساعة مستلقياً يفكر فيما اصابه وقد انتعشت قواه قليلاً على اثر العلاجات التي اسعفه بها الدكتور ش. سوتير ثم غلب عليه الم الجرح فأغمض عينيه طلباً للنوم والراحة الا أن حركة شديدة حدثت خارج الغرفة التي هو فيها .

ففتح عينيه ثانية ورأى باب الغرفة يفتح وقد دخل منه اربعة رجال اشداء يحملون على ايديهم جثة غارقة في الدم . ودخل وراءهم الدكتور وهو ينبههم الى وجود شفيق ويشير اليهم ان يخففوا من حركتهم فلا يزعجوه

وكان الدكتور يظن ان شفيقاً لا يزال مستغرقاً في نومه وبعد ان وضع الرجال الجثة على سرير تجاه سرير شفيق خرجوا وهم يعثون على اطراف اصابعهم .

وكانت ملابس هؤلاء الاربعة من نسيج ازرق وفوق رؤسهم شبه خوذة من اللباد الاسود ولهم مناطق علقوا



بها ما قدروا عليه من الخناجر والمسدسات .

وكانت الجثة التي جاؤا بها لا تزال تقطر دما فكانت مناظرهم في هذه الملابس الملوثة بالدماء فظيعة تبعث الرعب في القلوب

ولم يلفت نظر شفيق غير صورة عبد الحليم الشفتين كبير الخدامة كان احد اولئك الاربعة . فان شفيقاً كاد يثب من فراشه حين وقعت عيناه على هذا الاسود فقد تذكر صورته وظن انه رآه وعرفه قبل هذه الليلة فأخذ يجهد ذاكرته ويستعرض الحوادث .

واذ ذاك فتح باب صغير في احد جوانب الغرفة دخل منه الدكتور ودنى من الجثة وجعل يقلبها برفق واحتراس . ثم خرج ومعه وعاد الرجال الاربعة فحملوا الجثة وخرجوا بها من ذلك الباب الصغير وكان يفضي الى غرفة التشريح .

وبقيت صورة الاسود عالقة بذهن شفيق

وفيما هو يفكر في امره اذا الباب الذي خرجوا منه بالجثة قد دفع وظهر منه ذلك الاسود يتبعه احد رفاقه الثلاثة ولما

www.alkottob.com

توسط الغرفة قال الاسود لصاحبه :

ـ الا تريد ان تتحدث هنا قليلاً

فاشار رفيقه بيده الى شفيق فقال الاسود :

ـ ان هذا الشاب مستغرق في نومه وخيرلنا ان نتحدث منفردين هنا ولما جلسا جعل الاسود يسارق شفيقاً النظر ويلاحظ كل حركة تبدو منه

وكان رفيق الاسود جالساً القرفصاء يحرك رأسه من حين الى آخر

فقال الاسود وهو يتظاهر بالاحتراس من ذلك الجريح النائم :

ـ ان ضحية الليلة يا سيدي كانت غاليه لا تقدر

ـ بل قل انها خسارة لاتعوض

ـ كيف يكون حال الزعيم اذا رجعت انا اليه بهذا النبأ

ـ يحق للزعيم ان يبكي عليه دماً .

ثم ما قولك في الليلة القادمة

ـ الليلة . القادمة . انها ستكون من الليالي المعدودة



وان لم يكن معنا الزعيم فتو ...

وحينئذ اسرع العبد فوضع يده على فم صاحبه وقال :

ـ يالجنون انسيت يا صاح اننا ثلاثة في هذه الغرفة

فعدل الرجل عن اتمام كلمته وقال :

ـ لا تنس يا اخي اني قد فقدت نصف عقلي وقوتي حزناً على هذا الرفيق المضرج بدمه خصوصاً وان الدكتور يائس من شفاءه

ـ ولكن يجب ان نتناسى هذه الكارثة وتتشجع واذا كان بعض رجالنا قد قتلوا الليلة فلا يليق ان يلحقنا الوهن من بعدهم وكان صوت العبد مسموعاً مع تظاهره بالاحتراس

فقال رفيقه : ـ لو انصف الزعيم لترك هؤلاء البدو الى فرصة اخرى حتى يلتئم شمل رجالنا

فقال الاسود وهو يظهر الاستخفاف :

ـ اتظن انا عاجزون عن هذا البدوي الصعلوك الذي يسمونه ناثلاً فدع عنك المخاوف فأنه ليس امامنا الا هو ووالده فقط اما اهل المزارع التي تجاورهم فسيان عندهم عاش

www.alkottob.com

نائل او هلاك وانا كفيل بالفتاك به وبوالده وترك مزرعتهما قاعاً صفصفاً في اقل من ساعة .

وعند ذلك تحرك الجريح في سريره حركة جعلت قلب الاسود يرقص في صدره طرباً وارتياحاً ولم يلاحظ رفيقه من ذلك شيئاً فسأل الاسود قائلاً :

ـ ترى ماذا فعلت الساحرة ؟

ـ انها ترشف مع هذا الصعلوك كؤوس الحب مترعة صافية وسيكون آخر عهدهما بالسعادة الليلة القادمة حين تلعب خناجرنا بصدر هذا الصبي المغرور

يا لك من شجاع متحمس . واخبرني ايضاً هل تظن نائلاً يعرف نيتنا على اهلاكه

ـ لا اظنه عالماً ولكنه لا يجهل ان الزعيم حانق عليه منذ اهانك في بيته

اه اذن لاحق وهل يحسب هذا الصعلوك انه يمنع الاتاوة عن الزعيم ثم يعيش بعد ذلك

اما الفتى الجريح فكأنه لم يستطع ان يسمع من



حديثهما فوق الذي سمع فاخذ يتقلب تقلب اللسوع . وازادت حركته زيادة غيرت مجرى كلام الرجلين فقال الاسود لرفيقه :

ـ يحق لهذا الفتى ان يضطرب

ـ ولماذا ؟

ـ لان جرحه شديد وقد ادركت الآن اني اعرف هذا الجريح

ـ ومن اين لك ذلك

ـ رأيته بعيني رأسي يسقط عن جواده

كيف سقط وما هو حديثه ؟

ـ مررت بمدرسه الفرير بعد عصر اليوم وكنت مسرعاً في سيري لان الزعيم كان مشدداً علي في مقابلتك الليلة لتأخذ اهبتك للتوجه غدا الى المحلة كما اخبرتك فرأيته يسقط عن متن جواده . ثم سكت قليلاً

فقال له رفيقه ثم ماذا ؟

فقال الاسود وهو يحرك رأسه :

www.alkottob.com

ـ اعلم ايها الرفيق اني رأيت في اثناء هذا الحادث امراً مدهشاً فقد رأيت فتى آخر يعترض جواد هذا الجريح وهو كاشد ما يكون جماحاً فصدمه بقبضته صدمة جعلته يسقط في مكانه وهذه قوة لا مثيل لها واني لارتاب في ان يكون لزعيمنا الشجاع مثل هذه القوة وقد تمنيت ان يكون بين رجالنا من يشبه هذا الفتى قوة وبأساً

وهنا عجز شفيق ان يقاوم ثائرة نفسه فصاح وهو يتلوى تلوي الافعوان : ـ دكتور دكتور

فزعر الرجلان وخرجا من الغرفة مسرعين وزادت دهشة شفيق حين رأى الاسود وهو خارج في اثر رفيقه ينظر اليه بحنو وابتسام ويشير اليه محرضاً محذراً كان بينهما عهداً او كانه له صديق حميم

ودخلت ابنة الدكتور سوتير وكانت فد فرائعة الجمال وكثيراً ما كانت تساعد ابها في معالجة مرضاه فقالت :

ـ سيدي ماذا تطلب؟

ولما رفع شفيق نظره اليها تراجعت قائلة :



أأنت هنا في مستشفى ابي ايها الفتى ...

فلم يلتفت شفيق الى بغتتها وقال :

ـ اريد الدكتور يا آنسة

ـ سيحضر على الأثر

ـ وكم الساعة يا سيدتي

ـ الثانية بعد منتصف الليل

ورأت الفتاة ان شفيقاً لا يستقر على حال من القلق فخرجت لا تلوي على شيء ثم عادت ومعها ابوها فدنى من شفيق وسأله مترفقا :

ـ كيف حالك يا سيدي

ـ اذا لم ار صديقي عبد الرحمن الساعة فاني هالك لا محالة

فبهت الدكتور وقال :

ـ صديقك عبد الرحمن . لقد كان الى جانبك حتى الساعة الثامنة ثم خرج ولم يعد

ـ الم يقل لك متى يرجع

ـ لا شك انه يزورك عند الصباح

www.alkottob.com

ـ ما ابعد الصباح مني

ـ ولكنا مضطرون الى الانتظار

ثم جلس الدكتور وابنته يحدثانه ويتلطفان به واظهرت الآنسة دي سوتير من حلاوة الحديث وخفة الروح ورشاقة الحركة ما خفف عن شفيق ألمه وانساه كثيراً مما يقاسي .

ولما دقت الساعة الثامنة صباحاً دخل عبد الرحمن المستشفى وليث يحادث صديقه حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ثم خرج وهو يقول لشفيق :

هون عليك ايها الصديق فان هذا الزعيم قد عكر صفو الامن في انحاء الدلتا ولم يكفه ذلك حتى اراد ان يتعرض لاصحابنا واصدقائنا وان نفسي لتحدثني اني سأجعل اغارته على بدو المحلة الليلة القادمة آخر اغارة من نوعها ان شاء الله . وربما كانت آخر عهده في الدنيا ومن فيها

## الفصل الرابع

### « الساحرة »

كثيراً ما كنت اذهب لزيارة بعض الاقارب والاصدقاء بالمحلة واتفق اني دخلتها ذات ليلة ففضني ونخبة من شبانها مجلس سمر دار الكلام فيه على الجمال وانواعه وذهب بنا الحديث كل مذهب حتى انتهى بنا الى ذكر نساء الافرنج وفارس وبلاد العرب وما وراء البحار ثم قر الرأي ان الجمال المصري تنحصر ايانه في عاصمة القطر وتليها المحلة

وكان في زاوية المكان شيخ لا يشاطرنا الحديث فظل ساكتاً ساكتاً حتى انتهينا من موضوع حديثنا

وعند ذلك التفت اليه بعض الحاضرين وقال :

ـ ما بال الشيخ لا يتكلم وهو صاحب المواقف المشهورة والرأي الصائب في الجمال

فقال الشيخ : ـ لقد مضت ايامي وهذه ايامكم فابحثوا عن الجمال وانشدوه اني شئتم فذلك امر اصبح لا يعنيني ولست

www.alkottob.com

اكتم عنكم انكم على الرغم من هذا البحث الطويل العريض لم تصلوا الى الحقيقة ولكنكم سقطتم على القرب منها ولو انكم جاوزتم المحله قليلاً لتناولتم الحقيقة بايديكم . فلم يدرك الحاضرون غرضه وجعلوا يرمقونه بابصارهم وينظرون الى بعضهم بعضاً . فقال الشيخ :

ـ لا تعجبوا فالامر بسيط وان الجمال الصميم يوجد على بعد اميال قليلة من المحلة ومن رأى منكم مزرعة فلان البدوي فقد رأى مقر الجمال الذي قضيتم ليالكم في البحث عنه حتى كدتم تقلبون الكرة الارضيه ظهراً لبطن .

ثم انصرفنا وفي نفسي اثر من هذا الكلام .

ولما اصبحنا خرجت متظاهراً بالتنزه ونيتي ان اقصد تلك المزرعة لعلي اتحقق مبلغ كلام دلك الشيخ من الصدق ومررت في طريقي باراضي عمدة المحلة وقتئذ فوجدته هناك يتعهد اعماله فبش لي وسألني عن وجهتي فلم اصرح له بالحقيقة وقلت اني اريد استنشاق نسيم الصباح وطلب ان يرافقني فسرتني تلك الصحبة .



وكان عمدة المحلة رجلاً كريم الاخلاق قد جاوز الخمسين من عمره ولكنه خفيف الروح فكه الحديث فسرنا متنقلين بين الحقول والخضرة . وكان النسيم لا يزال بليلاً وطيور الصباح تطير بين ايدينا وتقع هنا وهناك كلما روعتها مناجل الحصادين وغناء الرعاة والفلاحين .

ولما دنونا من مزارع البدو رأيت على باب احداها فتاة بين يديها كلب بداعبه . فلما بصر بنا الكلب اخذ ينبح ويعدو نحونا وتبعته الفتاة لتمنع شره عنا .

ولحظت ان عمدة المحلة لما رأى البدوية مقبلة علينا جعل يبتسم وقد غلب السرور عليه .

ونظرت الى الفتاة حين اقبلت وعلى وجهها نقاب شفاف فلم اتبين ملامحها الا عند ما التفتت الي تصانعني بعد ان صافحت العمدة : وهناك كدت افقد رشدي وبهت حتى كأني اصبحت لا اشعر بموقفي ولا ادري كيف سرت بي هذه اللحظة التي صافحت فيها تلك الفتاة الفتانة فاني رأيت تمثال الجمال الباهر ماثلاً امامي وجهاً لوجه وقلت في نفسي

www.alkottob.com

لو رأى اليونان في ايام مدنيتهم هذا الجمال العربي لكفروا بفينسيا الهة الجمال واتبعوه . واذا كانت هذه هي الفتاة التي عرض الشيخ بها في حديثه الليلة البارحة فأنه لم يبالغ ولو كان يقصد غيرها وكانت اقل من هذه جمالاً

ودعتنا الفتاة الى دخول مزرعتهم فشكرنا لها ورجعنا وقد سرت وسيري خطوة والتفاتة فقال لي العمدة :

ـ هل تظن ان الشيخ قد اصاب النظر ؟

ـ واي شيخ تعني

ـ الشيخ الذي دلكم الليلة الماضية على مقر الجمال الصميم

فاعجبت بذكاءه وقلت :

ـ فانت اذن تعلم قصدي من هذه النزهة

ـ نعم ولولا ذلك ما خرجت في انتظارك هذا الصباح واعلم اني كنت واثقاً بأننا سنلتقي بالفتاة على هذه الصورة فأن هذه الفتاة او الساحرة كما يسميها قومها لا تميل كثيراً الى الاحتجاب وهي قد اعتادت الخروج الى الخضرة والماء كل



صباح كما رأيت .

ثم قال : ـ واذا صدق ظني فأن هذا الجمال الساحر لا يعيش بعيداً عن الحب والغرام .

وليعفني القاري، من وصف تلك الساحرة الفتانة ويكفي ان اقول انها خلاصة الجمال الخالص وما على القاري، الا ان يجمع الى ذهنه كل انواع الملاحة والدلال وان يصور في نفسه ما شاء من ضروب الجمال الفتان والحسن الواضح فان ذلك اقل ما توصف به تلك الغادة البدوية .

ومزارع البدو في تلك الناحية كثيرة متجاورة .

وكان والد الساحرة قد قضى منذ اعوام وانتهت اليها رئاسة المزرعة بعد والدها وان كانت المزرعة تعرف باسمه حتى اليوم .

اما والدتها فكانت لا تزال غضة الشباب جميلة وقد ردت كثيرين ممن خطبوها الى نفسها كبراً وانفة

وكانت فوق ذلك لا تطيق صبراً على فراق ابنتها ضياء او الساحرة

www.alkottob.com

## الفصل الخامس

« بغضاء كامنة »

في ذات مساء رجعت ضياء من تعهد اعمالها الى المزرعة وكان وراءها بعض رجالها .

ولما دنت من المزرعة سمعت من داخلها صوتاً وما كادت تصغى اليه حتى رجعت مذعورة . وقالت وهي تعض اصابعها : يا للشيطان كيف وصل الي بيوتنا هذا الجبان الغادر وبدت علامات السخط على محياها فزادته جمالاً وسحراً

ولما بلغت اطراف البيوت وقفت مستندة الى بعض جدرانها وقد شاعت عيناها والتهبت وجنتاها بنار الغيظ والحنق . ثم سارت تقصد الترعة وكانت تجري على مقربة من المزرعة .

وكانت ظلمة والسكون هادئاً ساكناً لا يسمع فيه غير غواء الذئاب وحيوانات الليل باصواتها المختلفة .



وقد اخذت ضياء تتأمل سكون الطبيعة وجلالها وطاب لها الانفراد فهدأت ثائرتها وخفت وطأت غضبها شيئاً فشيئاً .

وارادت بعد ذلك ان تعود الى المزرعه فشعرت كان جاذباً يجذبها الى البقاء فلم تستطع النهوض من مكانها .

ومضت ساعة فرأت بعض الرجال يخرجون من المزرعة ومعهم مشعل يسيرون على ضوءه وقد سمعتهم يذكرون اسمها فعلمت ان غيابها افلقهم فجاؤا للبحث عنها .

وكادوا يقتربون منها فهبت قائمة ولما تبينت القادمين على نور المشعل اخذتها هزة وعاودها ما كان فارقها من سخط وغضب وتحفزت في مكانها كانها قادمة على نضال .

اما الرجال فكان يتقدمهم شاب تدل سيماه على الكبرياء والصلف فلما قربوا من ضياء ورآها الشاب اسرع اليها وهو يقول :

ضياء . ابنة عمي . كيف بقيت هنا الى الآن . الا تعلمين ان بقاءك منفردة في هذا المكان تحت اجنحة الظلام مما

www.alkottob.com

يخدش كبريائنا وتأباه اخلاقنا و ...

ولم تترك ضياء يتم كلامه بل قاطعته قائلة :

ـ لله ما اشد فضولك . فما شأنك انت وهذه الاقوال الفارغة .

فصمت الشاب ووقف الرجال لا يبدون حراكاً .

ولبثوا كذلك برهة فقال الشاب :

ـ ابنة عمي لقد اهنتني

وكان يتكلم بهدوء والظاهر انه كان هدوءاً غير شريف

اما ضياء فاجابته وهي تصرف وجهها عنه :

ـ لا بل اهنت نفسك ومثلك من يستحق الاهانة .

فانقلب هدوء الشاب حماساً وصاح بها .

ـ يا للداهية العلك دوخلت في عقلك ايتها الفتاة .

ـ ولكني كائنة ما يكون عقلاً وجأشاً .

ـ اذن كيف تشتمينني بمسمع من هؤلاء الرجال .

ـ ذلك لاني لا اقيم لك وزناً .

واتقدت جمرة الغضب في صدر الشاب فجعل يرغي



ويزبد ثم قال :

ـ اعلمي ايتها الفتاة ان قتلك لا يفوتني .

فاظهرت الساحرة استخفافاً بكلامه وقالت .

ـ لقد غرتك نفسك وانك احقر من ان تهددني واعلم اني كنت عائدة الى بيتي منذ ساعتين ولما سمعت صوتك فيه كدت افقد صوابي بغضاً للصوت وصاحبه وفضلت ان ابقى بين الذئاب والكلاب فانه خير لي من رؤيتك ولا ادري كيف تهددني بالموت وانت في ارضي وبين رجالي فاغرب عن وجهي الآن وحاذر ان اراك هنا مرة اخرى فاطردك طرد الكلاب واللصوص .

فبسط الشاب ذراعيه مهدداً وقال :

ـ اقسم لقد حل قتلك ايتها المفتونة وما انا بغافل عن اسرارك ولم اكن احسب ان وغداً مثل نائل يستولي على قلبك الى هذه الدرجة وهيهات ان يحصل منك على شعرة ما دمت حياً .

وحينئذ ضحكت الفتاة وقالت في سكون واحتقار :

www.alkottob.com

ـ وددت يا ابن العم لو ان لك مثل هذه الشجاعة في حضور نائل فانك تقدم علي سبه مستخفاً مستهيناً ما دام بعيداً عنك فأذا رأيته فررت منه فرار الظبية بين يدي الاسد كما فعلت بالامس . اليس كذلك ؟

وكأن جواب الساحرة كان سهماً مسموماً اصاب صدر الشاب فتعلثم لسانه ووقف لا يحير كلاماً . ثم تقلب على ضعفه فقال بفتور وارتباك :

ـ انا هربت منه بالامس يا له بهتان . يالهم من ادنياء كيف كذبوا علي .

ـ لم يكذبوا عليك ولم يخبرني غير سمعي وبصري .

ووقع اذ ذاك بين الرجال همس وحركة وتقدم من بينهم شيخ قصير القامة قبيح المنظر تدل عيناه على الفجور والجرأة فقال :

ـ لقد افرطت يا سيدتي في التطاول على ابن عمك

فنظرت اليه ضياء غضبي وقالت :

ـ وانت ايضاً ايها الثعلب الدنيء يا لك من نذل لا نخوة



له ولا كرامة كيف تجرأت على الظهور امامي . الم يكن ما اصابك بالامس من حبوط مكيدتك وافتضاح امرك كافياً لهربك عن اعين الناس

وارتاع الشيخ من كلام الفتاة فلفت وجهه يريد الانصراف فتبعه الشاب وقد زالت كبرياءه وانقلبت انفته ذلاً وصغاراً

اما الرجال فبقي بعضهم واقفاً مكانه وانطلق البعض في اثر الشاب يقصدون مزرعتهم

وكان الشيخ ماشياً لا يرى اين يضع قدمه غيظاً وحقداً

فلما انفرد بصاحبه قال وهو يحرق الارم :

ما كان اغنانا عن هذه المقابلة يا سيدي فقد قلت لك ان الساحرة قد عرفت عدوها بالامس وان التنكر لم يغن عنا شيئاً .

ـ ولكني اردت ان اتحقق قبل ان اوسع دائرة انتقامي . فمكيدة الامس قد حبطت ولكن انتقام الغد لا يرده قضاء اوقدر . فالآن وقد وضعت يدي في يد الزعيم فتوح فتيقن ان

www.alkottob.com

ايام نائل قد اصبحت معدودة . وسترى الساحرة ان غرامها بهذا الصبي سينقلب كارثة لا تبقي ولا تذر

## الفصل السادس

« ذل الغرام »

نرجع بالقارئ الي الوراء اشهراً ليرى سر البغضاء بين الساحرة وذلك الشاب .

كانت ضياء البدوية او الساحرة بين قومها كزهرة الربيع التي تملأ العين قرة والصدر انشراحا .

واولئك البدو ميالون بفطرتهم الي الجمال والحب . وقل منهم من لم يكن حبه عذرياً مادام ذلك سجية طبعها بهجة خصلاتهم . وموضع اعجابهم . وحديث خلوتهم وسمرهم .

وكانت كلما خرجت اليهم تقابلوا اليها نظر الصبي الي امه عند الصباح حتي السيوخ منهم والعجائز وحتي نسوها



بالمخلوقة الساحرة .

وفي صبيحة يوم من ايام الربيع هب الاعراب من رقادهم مبكري لاقامة المهرجان كعادتهم عند قدوم فصل الجمال والزهور .

فخرجوا في زينتهم افواجاً عاليهم ثياب الحرير الرقيقة والكوفيات المزركشة الجميلة وبين ايديهم الخيول المسومة جاؤا بها للسباق واللعب وقد اعدوا لذلك ميداناً فسيحاً .

وضربت السرادقات الفخمة في براح من الارض تحيط به المياه والاعشاب وقد افردوا واحداً منها بالنساء على تلعة يشرفن منها على ميدان اللعب

واقبلت في ذلك اليوم عقائل المحلة وغاداتها وكثيرات من عقائل السراة اصحاب الاراضي والمزارع في تلك الناحية ففاض بهن وبالعربات السرادق واختلط الجمال الحضري بالجمال البدوي في ذلك المكان .

فكان اشبه شيء بمعرض وقفت اليه ربات الجمال يعرضن فيه ما اودعت عيونهن من سحر وملاحه وحملت

www.alkottob.com

قدودهن من هيف ورشاقة

وكانت الارض في ذلك اليوم شريكة القوم في سرورهم فأخذت زخرفها وازينت واخرجت من كل زوج بهيج فاينما التفت فلا ترى الا جمالاً وبهجة .

واصطفت الخيالة على رأس الميدان وهتف لهم الناس يحيونهم ويهيجون في صدورهم روح الشجاعه والحماس .

اما افتتاح السباق والبدء باللعب فكان عندهم حق لا تدعيه الا اجل فتاة بدوية فكانت البدياوت يرقبن هذا المهرجان السنوي بلهف وفروغ صبر .

وكانوا يختارون ابرعهن جمالاً لهذه الغاية فاذا امتنعت عن الخروج الى السباق كان من حقها ان تعين من ينوب عنها لافتتاحه .

والساحرة اولاهن جميعاً بهذا الحق . ولكنها منذ شبت وترعرعت لم تتنازل يوماً للوقوف مع اولئك اللاعبين . فكان الاعراب يتمنون ان يروها ولو لحظة وهي تجول على ظهر جوادها بين الفرسان في جوانب ذلك الميدان .



والمولعون بالفروسية وركوب الخيل يهرعون من كل ناحيه في مثل ذلك اليوم لمسابقة الاعراب والتفرج عليهم لما عرف عنهم من فنون الفروسية . والتقلب على ظهور الجياد .

ولما وقف الخيالة ينتظرون الفتاة التي من حقها افتتاح السباق كعادتهم لبثوا يرقبون

وكان في طليعتهم شابان من الاعراب تلوح عليهما دلائل النبل والشجاعة .

وكان احدهما ربعة بادناً يلبس ثياباً بدوية . اما الثاني فكان طويل القامة قمحي اللون في الزي الافرنجي وهو اصغر من الاول سناً واجمل طلعة وقد وقف الاثنان منفردين امام صف الفرسان . وكان بين فرسيهما فرس ثالث امسك بعض الاعراب بلجامه .

وتطلع الناس يستعجلون الفتاة

وكان بين المتفرجين مما يلي سرادق السيدات شيخ قصير القامة الى جانبه غلام . والشيخ ملتحف برداء وهو

www.alkottob.com

لا يفتأ يلتفت بتمنة ويسرة ويجيل نظره في السرادق فقال الغلام وهو يحرك يد الشيخ :

ـ ما اجمل مهرجان هذا العام يا ابتي

ـ انه بهي جميل يا بني ولكن اخشى ان يكون هناك ما يكدر صفوه .

فنظر الغلام الى الشيخ متعجباً وقال :

ـ اي شيء هناك يخشى منه ؟

ـ هناك الويل والثبور .

فدهش الغلام وقال :

ـ ولما كل ذلك يا ابتي ومالك لا تزال متشائماً .

ـ اترى يا بني هذا السرادق

ـ نعم وهو بهجة هذا الاحتفال .

ـ صدقت فهو بهجة هذا الاحتفال ما دامت تشرق في جوانبه تلك الشموس ولكن انظر الى الساحرة كيف كسفت بطلعتها هذه الشموس واعلم انها كذلك ستمحو بظلمها بهاء هذا الاحتفال .



ـ انك لظالم يا ابتي ولا تزال تذكر هذه البدوية الفتانة بالشر .

ـ دعك من هذا وانظر الى هذين الشابين اللذين انفردا امام الخيالة .

ـ اني اراهما وهما ارفع شبابا تلمة ماً واغنام مالاً وجمالاً

ولكن الساحرة ستلقي باحدهما اليوم الى حضيض الذل والهوان على مرأى من هذه الجموع ولا يعلم الا الله ما يكون وراء ذلك .

ـ ابتي ارجو ان تفصح عن غرضك فأني احب طلعة هذه الساحرة واهيم بأخبارها .

فامتعض الشيخ لكلمة الغلام ثم ثاب اليه رشده فقال :

ـ انك تعذر يا ولدي فأن الشيوخ انفسهم يلهجون بجمالها وليس بين العرب من يطمع في غرامها غير ذينك الشابين ولا يعلم احد حتى الساعة لمن فيهما تهب قلبها وهواها وقد رأيتها اليوم تلبس ثياب السباق ولا اخالها خالفت

www.alkottob.com

سنتها وتأهبت لافتتاح السباق الا لتظهر للناس بالبرهان المحسوس اي الاثنين تعشق . واذا كنت في ريب من كلامي فاجل طرفك في هذا السرادق .

وبعد ان اجال الغلام بصره قال :

ـ لقد صدق ظنك يا ابتي فما اشد جمالها في هذه الثياب .

والظاهر ان كثيرين من الاعراب غير الشيخ وغلامه كانوا يتحدثون بمثل كلامهما واعينهم شاخصة الى سرادق السيدات .

ولم يكن الا ان ظهرت الساحرة بغتة على باب السرادق فصاح الناس طرباً واخذوا يدفعون بعضهم بعضاً ليقتربوا منها ويحظوا بنظرة من عينيها الفاتكتين .

وخرج الاعراب والمدعون من خيامهم ليشهدوا ذلك المنظر الذي يتمنونه من زمن طويل .

ووقفت الساحرة باسمة مسرورة ثم اخلوا لها الطريق فمشيت تتثنى كأنها الغصن الرطب عبث به النسيم .



ولما بلغت صف الفرسان حيوها محنين رؤسهم .

وقصدت من فورها الجواد الذي اعدوه لها بين الشابين فوثبت الى متنه برشاقة تنعي القلوب والالباب .

وساد السكون واتجهت الانظار ليروا اي الشابين يكون اسعد حظاً باختيارها اياه للمسابقة دون رفيقه .

ووقفت الساحرة ممشوقة تسطع في منطقتها الاحجار الكريمة وقد ارسلت شعرها وراء ظهرها وفي يدها عود من خيزران دقيق .

وانقضت برهه وهي على فرسها بين الشابين يداعب شعرها النسيم وعلى فمها ابتسام جميل .

واذ ذاك دفع الشاب البادن جواده الى عرصة الميدان ثم وقف متأهباً للسباق ونظر الى الساحرة يستحثها على الخروج لمسابقته وهو يلوي عنقه اعجاباً بنفسه فاحدقت به الابصار ليروا ما يكون

لكن واخجلتاه . ان الساحرة بقيت في موقفها لا تعيره التفاتاً وكأنها لم تر شيئاً مما كان فلبث الشاب

www.alkottob.com

المسكين حيث هو وقد صعد الدم الي رأسه حتى كاد يختنق فثنى عنان جواده راجعاً الى مكانه وهو يتمنى لو ابتلعته الارض او اختطفته السماء .

وبرز الفتى الثاني وقد تطاولت اليه الاعناق فلم يكد جواده يثب وثبته الاولى حتى اطلقت الساحرة لفرسها العنان فخرج بها خروج السهم زل عن كبد القوس فانطلقت في اثرها القلوب وارتفعت اصوات الطرب من كل جانب واخذ الاعراب يرددون الاناشيد الهوى العذري والناس من وراءهم في هتاف وتصفيق حتى غابا العاشقان . بين اصوات التهليل ودوي الاستحسان .

ثم عادت الساحرة وصاحبها الى جانبها يشقان بجواديهما صدر الميدان وقد اشرفت وجنتاها وتلألأ بريق الحب في عينيها . فلما بلغت موقف الخيالة نظرت اليهم نظرة كلها عظمة ورشاقة ثم اشارت اليهم ايذاناً بافتتاح السباق فانطلقت حينئذ الصافنات الجياد حتى كاد يضيق بها الميدان على سعته .



أما الشاب المخذول فأنه حين رأي الساحرة الي جانب حبيبها تبتسم له وآثار الصبابة تفيض من عينيها لم يطق على ذلك صبراً فتوارى عن العيان وترك الميدان لغيره من اللاعبين .

وكان صاحبنا الشيخ واقفاً يشاهد عن كثب فلما رأى الشاب المخذول ينصرف اصفر وجهه وقال وهو يشيعه ببصره اذهب ايها الصديق فسترى كيف انتقم لك .

وكان بين المحتفلين عبد كان اكثر الناس سروراً وكلما وقعت عيناه على الشيخ جعل يعبث به وينظر اليه نظرات هزء وشماتة .

ولم يزل القوم في سرورهم ولعبهم حتى اذنت الشمس بالمغيب وتفرق الناس فلم يبق الا الشيخ وغلامه

## الفصل السابع

« ابن الزوجه »

وقف الشيخ بعد انصراف القوم زائغ البصر والغلام

www.alkottob.com

الى جانبه صامتاً فلما طال بهما الوقوف قال الصبي :

ـ لقد آن لنا يا ابتي ان ننصرف

فلم يجب الشيخ وظل واجماً . فجعل الغلام يحرك يده بلطف تنبيهاً له فلم يزدد الا ذهولاً . فقال الغلام :

ـ الا تأذن لي يا ابتي بالانصراف فقد تفرق الناس وطال بنا الوقوف .

واشعر الغلام كان هزة اليأس تسري في اعضاء الشيخ فأفلت يده من يده وانطلق يريد المزرعة فلما دنى منها سمع الشيخ يناديه ورجع مذعوراً فصاح به الشيخ :

ـ اتذهب ايها الاخرق ولم آذن لك .

فنظر اليه الغلام ولم يجب فقال الشيخ :

ـ هذا ادب امك فلاءؤدبنك ادباً غير هذا . فامتقع لون الغلام ولم يرد على ان ولى الشيخ ظهره وصار يقصد المزرعة .

فلما دخلها وكان الليل قد اقبل رأى الاسود الذي اشرنا اليه في آخر الفصل السابق منزوياً وراء جدار وهو يشير



اليه بيده . فاسرع اليه كانما كان واياه على موعد وبعد حديث طويل تركه الغلام وقد تندت عيناه بالدموع وعلى ملامحه دلائل اللوعة والحزن .

ولما دخل الصبي على امه الدار اذا هي باسمة تفتح ذراعيها لاستقباله فاشاح بوجهه ورجع الى وراءه فدنت امه منه وهي تقول : ـ ما بالك يا حمدان ...

وادركت المرأة حال ابنها واضطرابه فوقفت تنظر اليه كانها تستشف ما يكنه فؤاده الصغير . واذا بالشيخ مقبل فلم يخف عليه أمر المرأة وولدها . وقد اسرعت اليه المرأة تريد ان تطوقه بذراعيها فرأت شرر الغضب يتطاير من عينيه .

اما الصبي فقد دخل البيت غير ملتفت وراءه والشيخ ينظر في اثره نظرة الاسد الى الفريسة .

وكانت ام حمدان صبية في الثلاثين عليها روعة من الجمال وفي عينيها لمعة من الذكاء الفطري

ولما رأت ولدها يتوارى دنت من الرجل فلمست

www.alkottob.com

كتفه بيدها وقالت : ما بال شيخي عاد على غير هيئته ؟

فلم يلتفت اليها ودخل في الدار قاصداً غرفته .

ومشيت المرأة وراءه وعلم انها تريد الكلام فاشار بسبابته ان اسكتي فقالت : — ولكن ولدي قبل كل شيء فأني اقرأ في عينيك اموراً وارى ولدي قد عاد وهو على غير ما اعهد .

فتقدم اليها الرجل وهو يقول : — حذار ايتها المرأة ولا تحرجيني الى الكلام فيطول شقاءك .

فصاحت المرأة صيحة يأس وقالت وصوتها يتهدج :— اترى ولدي وقف على شيء من سرنا الاسود . والا فما بالك تنظر اليه هذه النظرات النارية ؟

فقال الرجل وهو يصر باسنانه غيظاً .

— اذن فانت تأبين الا ان اتكلم .

— نعم وسريعاً .

فزفر الرجل زفرة محرور ثم قال :

— لا تخافي فأن سرنا لا يزال محفوظاً . اما ولدك فما



هو الا عاشق مفتون .

— اعاشق ولدي . حمدان يعشق ومتى كان الصبيان يعشقون ؟

— هو عاشق كما قلت وازيدك انه واقع في شباك الساحرة

فصعد الدم الى رأس المرأة حين سمعت باسم الساحرة وارادت ان تعترض واخذتها الحدة فمنعها الرجل وقال : — رويدك لا تغضبي فأن ابنك اذا لم يكن مولعاً بالساحرة فلا اقل من ان يكون عارفاً فضلها على ابيه من قبل فاصبح لجميلها حافظاً ولمعروفها شاكراً

ولم يكن سقوط الصاعقة بين يدي المرأه اخف وقعاً عليها من هذا الكلام فرجعت القهقرى وقد زاد لونها امتقاعاً وقالت وصوتها لا يكاد يخلص الى اذان زوجها :

ويلي منك يا رجل الم تقسم لي ليلة جريمتك الشنعاء ان تكون لحمدان اباً ثانياً علي ان اشاطرك كتمان سرك واكون لك جسماً وروحاً . فمالك وللساحرة الآن ؟ تلك ايام مضت فلا تحاول ان تعيد ذكراها على مسمعي والا كنت

www.alkottob.com

ناكثاً غادراً .

فقال الرجل :

- هيهات . لقد غالبت نفسي كل هذا الزمن الطويل وكتمت في صدري من نار الغيظ مالا صبر لمخلوق عليه .

فتأوهت المرءة من كبد مصدوعه

فاستتبع الرجل حديثه غير ملتفت اليها وقال :

والآن قد انبعث كامن حقدي وتنبهت خلة الانتقام في صدري حتى لا تحول بيني وبين عزيمتي قوة في الارض ولا في السماء فقد اردت ان انسى الله والدين مرة اخرى فأعود سفاكاً فتاكاً . فهل تذكرين ايامنا الاولى ؟ الم يدوسوا انانيتي ويهزؤا بحبي يوم كنت انت كل اماني في هذه الحياة ؟ الم تتقدم هذه الساحرة الظالمة الى والدها خال بيني وبينك وكنت من نصيب ابن عمي ؟ الم اخرج على وجهي هائماً طريداً اطلب الموت فلا اجد اليه سبيلاً ؟ ولو لم يكن الشيطان معي ومات والد الساحرة لما تمكنت حتى الساعة من رقبة ابن عمي نوفل ولبقيت الى الآن هائماً ...



وكانت المرأة واقفة في حال تصدع الفوآد ولم تستطع ان تسمع اكثر مما سمعت فسقطت في مكانها واهنة القوى فلم يأبه لها الشيخ واراد ان يتابع تهديده ولكنه سمع وقع خطوات خارج غرفته فسارع الى الباب لينظر فلم ير شيئاً . فعاد واقفل الباب وراءه .

وفيما هو يغلق باب غرفته كان الصبي حمدان يثب من باب الدار وثبة الظبي الجافل وهو يقول في نفسه :

لقد صح الخبر وعلمت ان سعيداً العبد لم يكن فيما القاه الي الليلة مبالغاً او كاذباً . اذن فهذا الشيخ اللعين لم يكن عمي . لكنه قاتل ابي ومغتصب امي .

## الفصل السابع

### « منتزه الساحرة »

كان على بعد كيلو مترين تقريباً من مزارع البدو تل مرتفع كثير الاشجار والاعشاب تجري تحته ترعة قديمة .

www.alkottob.com

وقد اتخذه كبار اللصوص وقطاع الطرق مأوى لهم من زمن بعيد .

وشاع امر ذلك التل وتعددت حوادث السفك فيه حتى هابه الناس وخافوا الدنو منه .

وكان والد الساحرة رجلاً بعيد الهمة مقداماً يرهب الاشقياء جانبه ويخشون بأسه .

واتفق له ذات يوم ان مر بذلك التل والشمس على وشك المغيب فطرق سمعه صوت امرأة تصرخ صراخ اليأس والجزع فاقتحم التل غير هياب ولا وجل ولكنه لم يبلغ مكان الصوت حتى وقعت عيناه على منظر يفتت الا كباد . ويذيب الجماد . فقد رأى جثة امرأة صبية غارقة بدمائها وقد ذبحت من الوريد الى الوريد والى جانبها طفل لا يتجاوز العامين يبكي وقد غرق في بحر من دم امه البريئة . فقف شعر الرجل على شجاعته وطار فؤاده شعاعاً .

وكان السفاحون حين هجم عليهم قد شعروا به فأجهزوا على المرأة وولوا مدبرين فلم يسع الرجل الا ان وراها التراب



ثم احتمل الصبي وانصرف وهو يقسم بكل محرجة من الايمان ان ينتقم لهذا الصبي البائس ممن ظلموه انتقاماً لا يعادل .

اما حكاية هذه المرأة فانها خرجت من بيت زوجها غضبى تقصد بيت اهلها في قرية اخرى . وكان طريقها على ذلك التل فمرت به وعلى رأسها بضعة اقراص مغطاة بفضل خمارها ورآها اللصوص فظنوها تحمل حلية من ذهب وما علموا ان ذبحوها طمعاً بهذه الحلية الموهومة

اما والد الساحرة فقد مر بقسمه فكبس التل مراراً واوقع باصوصه قتلاً وتعذيباً .

وكانت خاتمة انتقامه ان وقع بزعيم الاشقياء وعلم انه قاتل المرأة وصاحبها فسامه من ضروب العذاب وانواعه ما تقشعر لهوله الابدان والشقي مع ذلك صامت لا ينبث .

فلما كان في بعض الليالي خرج به فوقفه على مصرع المرأة ثم قال :

ـ اتذكر ايها الشقي في اية ليلة خضبت يدك الاثيمة

www.alkottob.com

بدم الصبية المظلومة ؟

ـ في مثل هذه الليلة من الاسبوع الماضي

ـ وهل تحسب اني وفيت بعهدي في الانتقام لها ولولدها ؟

ـ كلا . فانك لم تفعل شيئاً ما دمت اناحياً .

ـ اتراك نادماً ؟

ـ لا اذكر اني ندمت علي اثم جنته يداي قط وكانك خرجت بي الليلة لتذبحني علي مصرعها في مثل الليلة التي ذبحت فيها انتقاماً لانتقامك فاذا شئت فافعل فما انا ممن يخافون تهديداً .

ـ ولكن انظر الى جزع هذه الشجرة التي الى يمينك فأني ارى عليه اثراً من دم تلك المرأة .

ـ لقد رأيته قبل ان تراه .

ـ ولكنه منظر لا يطاق ولا اريد ان يبقي لهذه الجريمة اثر في جواري

ثم اشار والد الساحره الي رجاله فلم يكن الا قليلاً



حتى حطموا الشجرة بفؤوسهم والقوا عليها من يابس الحطب واوقدوا فيها النار .

فلما رأى القاتل ذلك وقد علم المقصود منه خارت عزيمته فارتعش في موقفه وجعل يسترحم ويتململ فقال والد الساحرة هيهات لمثلك الرحمة ايها الوحش الادمي ولو علمت انتقاماً فوق ذلك لما بخلت عليك به فصبر كما صبرت الصبية التي ذبحتها وولدها على صدرها والا كنت جباناً مهاناً .

فلم يسمع للشقي صوت بعدها حتى أخذ والقي في النار .

فما هو الا ان توارت جثته عن العيان . بين اللهيب والدخان .

ونقلوا جثة المرأة بعد ذلك الى مقبرة المزرعة .

وكان الصبي بعد مقتل امه قد عاف الطعام والشراب حتى هزل جسمه فلحق بها بعد قليل غير ذاكر من دنياه خيراً

وجعل والد الساحرة بعد ذلك يخرج الي التل ليلاً ونهاراً لا يصحب غير ابنته حتى انست الفتاة بهذا المنتزه

www.alkottob.com

المخيف واخذت تتردد عليه منفردة كل صباح .

فعلم الناس ان خوف ذلك التل انقلب امنا وان عهد الدماء به قد فات وانقضى فاطمئنوا اليه وتناسوا ما كان من امره .

وقضى والد الساحره بعد ذلك باعوام فلبثت على عادتها في الخروج الى متنزهها كل صباح .

## الفصل التاسع

### ( حبوط المكيدة )

مضى شهران او اكثر فنسي او تناسى العرب امر سيد وهو ذلك الشاب الذي خذلته الساحرة في حادث السباق .

فلما كان في بعض الايام والوقت بكراً خرج من مزرعة سيد رجل قصير القامة وسار متوجهاً نحو متنزه الساحرة .

ولم يكن هذا الرجل غير الشيخ الخبيث عم حمدان



وزوج امه .

فلما بلغ التل قصد شجرة صفصاف ضخمة كان في جزعها ثقب عظيم فولجه مستخفياً

ولم يلبث ان جاء على اثره شاب بادن فصعد في التل ثم مال الى دغل كان هناك فاختبأ فيه .

وبقي الشيخ في مكمنه منصتاً وهو يقلب حدقتيه بين احجار التل ومسالكه كانهما حدقتا افعوان حتى تراءت له فتاة مقبلة . فلما دنت من مكمنه اهتزت اعصابه واستوى في مكانه كانه يريد الوثبة .

وكانت القادمة صاحبتنا الساحرة بعينها وقد اقبلت كعادتها تتنقل من موقف الى موقف ورائحة الطيب تنبعث من ثيابها فتعطر ارجاء المكان .

وبدأ الضباب ينقشع فلم يبق منه الا بقية قليلة تلوح من خلالها اصابع الفجر الوردية .

وظلت ضياء تصعد في التل بخطى خفيفة وهي كالمأخوذة بجمال مناظره الطبيعية حتى مرت بمكمن الشيخ

www.alkottob.com

وكادت ثيابها تلامس وجهه .

فلما توسطت التل اذا الشاب الذي اشرنا اليه يخرج من بين الاشجار بغتة وقد قام في طريقها معترضاً فلم تعبأ به ضياء بادي بدء ورمته بنظرة احتقار وغضب .

وكان الشاب متنكراً وقد هاج هائجه لهذا الاستخفاف منها فانقض عليها واسنانه تصر حنقاً فاجفلت الفتاة ثم التفتت وراءها فاذا الشيخ قد قطع عليها طريق الهرب وقد تنكر كصاحبه فايقنت بالشر حينئذ فخطت الى شجرة قريبة منها فجعلت ظهرها اليها محاولة الدفاع عن نفسها .

وللحال هجم عليها الشاب فدفعته بقوة وبدأ بينهما عراك استيأست فيه الساحرة .

وخشي الشيخ ان يطول الامر فيداهمهم ما ليس في الحسبان فتخلص الفريسة وتحبط مكيدته فاستل من بين ثيابه خنجراً مرهفاً ثم رمى به الى صاحبه واشار اليه ان اضرب ولا تتردد .

وكان الشاب قد ادركه بعض القلق لهول ما اقدم عليه



فتراخت يداه وعول على النكوص ولكن اشارة الشيخ اللعين اضاعت صوابه وفعلت فيه فعل الكهرباء .

فلم يتمالك ان اختطف الخنجر ورفع به يده في الفضاء .

وكانت الساحرة قد بلغ منها الجهد فتنهدت جبينها ووهنت قواها وهي لا تزال تجالد . ولكنها حين رأت الخنجر يلمع في يد خصمها ايقنت بالهلاك فانمضت عينيها مستسلمة وبسطت راحتيها على صدرها تتقي بهما الطعنة .

وما هو الا ان اهوى الفتى بخنجره يريد ان يشك به صدرها حتى دوت جوانب المكان بطلق ناري وجاءت رصاصة فاطارت الخنجر من يده جذاذاً .

وانقشع دخان البارود فاذا الساحرة قد سقطت مغشياً عليها والى جانبها حبيبها نائل حاملاً بندقته فتقدم اليها واحتملها على ذراعيه .

اما الشيخ وصاحبه فكانما ابتلعتهما الارض او اختطفتهما الشياطين .

وبينما نائل يسير ركضاً نحو الترعة التي تجري تحت التل

www.alkottob.com

وحبيبته على يديه يتأمل ذبول وجنتيها واذا بها تفتح عينيها فلما وقع بصرها عليه غلبت عليها الدهشة وانقلب اصفرارها للحال احمراراً .

وكان النسيم قد بدأ يداعب اغصان الشجر وبرزت الطير من وكناتها صادحة مغردة فجلس العاشقان بين سمع الطبيعه وبصرها يتلوازما رق وطاب من ايات الغرام .

ورأت الساحرة ان الساعات تمر بهما سراعاً ونائل لا يفاتحها حديث هذه المكيدة .

وكان نائل من اكثر الناس اعتداداً بنفسه فلا يعبأ بمكيدة او خطر . وقد ادرك ما يجول بخاطر الساحرة فابتسم لها وقال : — لا تجزعي ايتها الحبيبة فهم احقر من ان يأبه بهم وحذار ان تتركي عادتك في الخروج الى هذا المتنزه الجميل كل صباح فاني معك اينما كنت .

والساحرة اعرف الناس باخلاق حبيبها وقد لحظت انه يضن بهذا الموقف ان يذكر فيه غير الهوى، وحديثه وانه واقف لاعدائها واعدائه بالمرصاد فلمع جبينها سروراً



ونظرت الى نائل نظرة اودعتها كل ما يخالج فؤادها من هيام ووجد .

ومواقف المحبين كما يقولون قصيرة الاجل وان طالت . فما لبث الصبح ان تنفس وبرزت ملكة الانوار في هودجها الذهبي . فنظرت اليها ضياء وهي تتنهد .

ذلك ان شروق هذه الملكة العظيمة قد قصر اجل الساعة التي يحلم بها العاشقون كثيراً ولا يظفرون بها الا نادراً .

فانصرف الحبيبان والساحرة تود لو لاقت كل يوم مكيده تنتهي بمثل هذه الخاتمة .

## الفصل العاشر

### « عبد نجيب »

في غد يوم المكيدة كان سعيد العبد صاحب حمدان لهي خارجاً من المحلة وقد قاربت الشمس المغيب واخذ

www.alkottob.com

الفلاحون يهرعون الي قراهم ومساكنهم خوفاً من رجال العصابات وقطاع الطرق الذين كانوا يداهمونهم فى كل وقت وساعة .

اما سعيد فكان يمشي غير مبال بما بين يديه وهو تارة يحرك رأسه وطوراً يضرب الارض بقدميه وحيناً يضع سبابته علي شفتيه .

وكانت وجهته مزارع البدو فلما دنى من مزرعة الساحرة راى نوراً فاسرع في خطاه فوجد الساحرة تدخل المزرعة وسيد وصاحبه الشيخ ينصرفان الي مزرعتهما بعد ان اغلظت لهما الساحرة وطردتهما كما مر بنا الكلام في فصل سابق .

وسمع سعيد تهديد سيد للساحرة فابتسم ابتسام الغيظ وقال في نفسه يخاطب سيداً :

ـ ستعلم ايها اللئيم ان يوم الحساب قريب وان مكيدتك الثانية ليست بخير من الاولى .

ودخل سعيد فى اثر الساحرة . وقد رأي عند دخوله ان والدة الساحرة تنظر اليه عابسة مرتابة فأنحنى مسلماً



فلم يسمع منهما جواباً وجعلت المرأة تحدق به فتبالله ووقف هادئاً كانه لم يلحظ شيئاً فصاحت به غضبي :

ـ اراك عدت الآن وقد انقضى النهار ولم تك بين عمال المزرعة .

ـ سيدتي لقد عدت الآن من سفر قريب .

ـ ليت سفرك كان بعيداً .

ـ لا تعجلي يا سيدتى فاني راحل عنكم غداً ولا بد لي معك قبل هذا الرحيل من حديث قصير .

ـ تكلم بما شئت فسيكون هذا الحديث آخر مرة يسمع فيها صوتك بين جدران هذه المزرعة مخافة ان يأخذنا رجز من السماء ما دمت فينا .

ـ يظهر يا سيدتى انك تألمت كثيراً لمقامى بينكم .

ـ هات حديثك ولا تطل فأن صوتك يدوي في اذاني دوي الصواعق ويخيل لي ان المسكينة والدة الصبي وصريعة التل يدور شبحها حولك ويتعلق باذيالك فتكلم اذن واوجز فان فرائصي ترتعد لهول هذه الذكرى .

www.alkottob.com

وكان سعيداً لم يقو على احتمال تلك التهمة فرفع رأسه ونظر الى سيدته بأباء وانفة فاذا هي تعض شفتها غيظاً .

فتقدم سيعداً اليها وحنى بين يديها وقال وهو يلثم ذيلها

- اتتهميني يا سيدتي ؟

فضربت المرأة بقدمها الارض وقالت :

- اتتنصل يا هذا . الم تكن واحداً من عصابة التل الملعونة ؟

- بلى ولكني اقسم بحرمة سيدي اني بريء من دم الصبية .

- ولو كان سيدي الآن حياً لكفاني مؤونة الدفاع عن نفسي فقد علم براءتي من هذه الجريمة الشنعاء فضمني الى رجاله واحسن الي بعد ان نكل بالعصابة وزعيمها .

- ويلك اتريد ان تجعل اسم زوجي وسيدك عرضة لبهتانك وكذبك ؟

- لست كاذباً ولو نطق الثرى لشهد انه لم يقم على قبر سيدي الكريم ليلة وفاته غير ثلاثة انا واحدهم فظهرت البغتة



على وجه المرأة وابنتها الساحرة فتبادلتا نظرة سريعة .

واستتبع سعيد حديثه فقال :

- وقد كدت افقد رشدي حزناً عليه فعولت على الانتحار وانا قائم على قبره في تلك الليلة السوداء وفيما كنت اردد الطرف بين خنجري وصدري واذا مخلوقتان كريمتان تدنوان مني تحت جنح الظلام فتركت لهما مكاني ومنعهما الحزن والظلمة ان تبصراني فوقفت مستخفياً اشاركهما في نحيبهما حتى انصرفتا عند الصباح .

ورأى سعيد ان المرأة وابنتها تكادان تفقدان صبرهما لحديثه وان الغم والحزن يفيضان من اعينهما فاراد ان يسكت .

فقالت المرأة وقد تهدج صوتها وانطفأت ثورة غضبها عليه :

لا تقطع حديثك يابني :

- بعد انصراف الزائرتين او بعد انصرافك انت وسيدتي ضياء عدت الى موقفي من قبر سيدي فبللت ثراه

www.alkottob.com

بدموعي مرة اخرى وجعلت اشيعكما ببصري فتجلى لي سوء رأيي في طلب الانتحار وادركت ان هناك ما هو خير لي من ذلك فاقسمت ان اعيش ما استطعت وان يكون دمي ومهجتي وقفاً على خدمتكما فاكافيء بذلك ايادي المرحوم علي. وسابق احسانه الي. فلما سنحت الفرصة وجئت اعرض دمي واخلاصي اذا انت تهمينني وتكتمين لي البغضاء. فاطمئني يا سيدتي فأني مفارقكم ولكنه فراق لا يطول فاذا عدت اليكم بعد ذلك علمت يومئذ اي قلب بين جنبي هذا الشقي البغيض.

ثم نهض سعيد وكان لا يزال جاثياً فشرقت المرأة بدموعها لذكرى زوجها وكادت الساحرة تنتحب.

وقد رأت تلك المرأة المتكبرة ان سعيداً يغالب دموعه وقرأت في عينيه امانة وصدقاً. فاكبرت هذا الاخلاص منه. واطرقت تفكر في حديثه واقدامه على طلب الانتحار وجداً على زوجها فندمت على سوء ظنها به وحفيظتها عليه بغير حق وقد ارادت ان تصلح ما فرط منها فقالت وهي



تنظر الى سعيد اعجاباً وامتناناً.

- فأنت اذن يا بني الصديق الفرد الذي حفظ جميل زوجي وشاطرني انا وابنتي البكاء على قبره ليلة ووري التراب.

لا ادري يا سيدتي فلعل كثيرين غيري يذكرون مروءته وفضله.

- هيهات فأن سيدك على بعد مروءته وكثرة اياديه لم يترك لنا صديقاً وفياً. فكدت ارمي الناس جميعاً باللؤم ونسيان المعروف حتى رأيتك الآن فعلمت ان الناس لا يخلون من كريم الطباع حافظ للجميل.

فقال سعيد معترضاً.

- اخشى يا سيدتي ان تذهبي في الثناء على الى ابعد من هذا وما جئت اطلب ثناءً ولا حمداً.

- جئت فقط لتعرض على روحك ودمك.

- نعم غير منتظر اجراً ولا شكوراً.

- وهل انت ناس ما لاقيت الساعة من سوء صنيعي بك.

www.alkottob.com

- ما كنت لابالي بذلك وحياتي كلها صنيعتكم .
- يالك من عبد نجيب .
- بل قولي يا مولاتي خادم امين .

## الفصل الحادي عشر

### ( رسول الزعيم )

وظل سعيد قائماً فقالت والدة الساحرة وهي تنظر الى ابنتها :

- لقد اصبح سعيد واحداً منا .

فقال سعيد :

- هذا فوق ما كنت ارجو :

- بل هو بعض ما تستحق ولكني يا بني امرأة والمرأة كثيرة الارتياب كما تعلم .

- وهذا الذي يؤلمني يا مولاتي .

- فهل انت الان عائد من المحلة .



- نعم .

- اذن فحديثك يخيفني .

- ولكن لا مندوحة لك يا سيدتي عن سماعه .

فتأوهت المرأة وقالت وهي تظهر حيرتها :

- ليت شعري اي خبر جئت تحمله الي ؟ فهل لقيك بعض اخوتي ومقامهم الآن على حدود فلسطين ؟

- كلا

- فبعض اولئك الذين يطلبون يدي وهي ابعد عليهم من مواقع النجوم ؟

- ولا ذاك .

فقالت وهي تخفي اضطرابها :

- فبعض اعدائنا اذن ؟

فسكت سعيد ولم يجب .

وعرفت المرأة ان حديثه سر لا ينبغي ان يسمعه غيرها. وادركت ضياء منه ذلك فقالت وهي تهم بالخروج من الغرفة :

www.alkottob.com

ـ ارى ان حديثكما سيطول ولى من تهيئة اعمال الغد مايشغلني عن سماعه . ثم انصرفت وامها تشيعها ببصرها فلما توارت عن عينيها قالت :

ـ أسمعني حديثك ياسعيد فأني مصغيه .

ـ اعلمى ياسيدتي ان اموراً كثيره تجرى حولك .

فأجابت في هدوء وسكينة :

ـ وانا اعرف هذه الامور والمكائد .

فصاح سعيداً مدهوشاً :

ـ انت تعلمينها يامولاتي ؟

ـ واعلم ماهو ادق واخفي .»

ـ اذن فلم يبق من حاجة الى الكلام وماعليك الا ان تأمرى فابذل دمي راضياً مسروراً .

ـ اسمع يا بني فربما دهشت لما تراه من شدة يقظتي واطلاعي على ما يجرى حولي وقد تقول في نفسك اذا كانت هذه العربية المتكبره علي ما ارى من يقظة وانتباه فما بالها تجهل أمر اخلاصي وولائي الى الآن . فاعلم اني



لم اتعود ان يكون فؤادي صحيفة منشورة يقرأها كل انسان . ولست اريد ان اجادلك في اخلاصك وامانتك ولكن اذكرلى ما شأن الرجل الذى صحبته اليوم الى المحلة ومضيت معه سحابة نهارك بين حانات المحلة وملاهيها .

ـ من اجل ذلك جئتك يا سيدتي فالرجل من كبار اتباع الزعيم فتوح وقد نزل البارحة ضيفاً على سيد وصاحبه الشيخ فلبثوا الليل كله يدبرون ويأتمرون

ـ فما الذي جمع بينك وبينه .

ـ اخلاصى لكم .

ـ فهل اخلاصك هو الذي حملك على طلب الانضمام الى تلك العصابة المخيفة عصابة الزعيم فتوح والعودة الى سابق عهدك بالسفك والفتك .

ـ نعم هو كما تقولين

ـ اوضح يا بنى فأنى لا استطيع ان اوفق بين الاخلاص الذي يتجلى في عينيك وبين هذا الكلام .

ـ الامر واضح يا مولاتي فأن سباق الربيع كان ما

www.alkottob.com

زعيمك فخبره انها غباوه لا اناوة وان زمن هذه السخافات قد فات وان للبلاد حكومة واذا كانت الحكومة لا ترهبه فأن في سواعدنا قوة وفي رؤسنا نخوة . وكان الرجل يحدثني ونار الغيظ تتأجج في صدره لما لقي من نائل فادركت ما وراء ذلك من خطر محيق وعلمت ان وقت العمل قد حان دفعاً لعادية اولئك الاشقياء ونكاية بهم فقلت للرجل هوّن عليك ايها الرفيق فأن كبرياء هذا الصبي المدعو نائلاً لا حد لها وقد ذقت منه الامرّين فأنني بعد تفرق عصابة التل اضطررت الى خدمته فعرفت من اخلاقه ما لا يعرفه غيري وقد كرهت الحياة لسوء معاملته اياى فصممت على الالتجاء الى بعض العصابات تخلصاً من غرور هذا الصبي وعيشة الذل معه . فلما رأيتك بالامس صحت عزيمتى على لقائك لتكون وسيطي في الانضمام الى عصابتكم ولا شك ان الزعيم لا يهمل امر نائل بعد اليوم واذا كان ذلك كذلك فابشر فأني اعلم بمقاتله من سواي وا كون بذلك قد شفيت غليل صدري وثأرت لك ايها الصديق القديم . فكاد الرجل



وقع فيه مقدمة لامور خطيرة . ففي صبيحة امس حبطت مكيده التل ولكن في مساء دبرت مكيدة اخرى ابعد مرمى واحكم اتقاناً . وقد خرجت صباح اليوم متظاهراً بالذهاب الى عملي فلقيت رسول الزعيم وكان قد وصل ظهر امس وبقي في محادثة نائل ووالده الى الغروب ثم خرج من عندهما على اسوء حال فر بمزرعة سيد ومكثنا يتحدثان الليل بطوله

- اعرف ذلك .

- وكنت ايقنت ان وراء الاكمة ما وراءها وان سيداً يكيد سراً لنائل ووالده واذا هلك نائل كان هلاكنا محققاً .

فبت بليلة الملسوع فلما وقعت عيني في هذا الصباح على رسول الزعيم كدت اطفر سروراً لاني عرفت فيه صديقاً قديماً كان من رجال عصابة التل فصحبته الى المحلة وعلمت منه ان الزعيم فتوح ارسله الى والد نائل في طلب الاتاوة المعتادة فلم يأبه له والد نائل وابى ان يعطيه شيئاً وبلغ الغيظ من نائل لهذه الوقاحة فكاد يبطش بالرسول وقال له ارجع الى

www.alkottob.com

يقبل يدي ابتهاجاً وقال ان الامور تجري على ما نشتهي فأنت من الآن واحد منا وستكون اكرم رجال الزعيم عليه فهل تريد ان تسير اليه الساعة معي فقلت بل تتركني اليوم لادبر امري وغدا اكون بينكم واني اوفي له بوعدي ولاحق بهذه العصابة غداً كما ذكرت لك يا سيدي في اول كلامي ولا شك انك تدركين الآن غرضي من الاندماج في عصابة الزعيم.

وكانت والدة الساحرة مصغيه تسمع وهي تتفرس في وجه سعيد فقالت :

ـ صدقت يا بني فهذا الذي بلغني عنك ولكني اراك لم تشر الي او الى ابنتي ضياء بكلمة في حديثك .

ـ ذلك لاني لا اريد ازعاجك فقد اخبرني الرجل ان سيداً يريد اغراء الزعيم بمهاجمة مزرعتكم عند السطو على نائل ووالده واذا لم يصغ الزعيم الى اغراءه فهو سيتولى بنفسه هذا الامر بينما يكون نائل ورجاله مشتغلون بالدفاع عن انفسهم



ـ فما الذي يمنع الزعيم ان يصغى الى سيد في تحريضه علينا .

ـ لا ادري ولعل صلاته القديمة بالمرحوم سيدي ...

فصاحت المرأة وهي تصرف وجهها عن سعيد :

ـ لا تراوغ يا هذا فقد انبأك الرجل ان زعيمه طامع في زواجه مني بعد اغتيال نائل ووالده ولكن خسأ الشقي الاثيم فهذا لا يكون وفي نفس يتردد ولم يبق الا ان استدعي اخوتي وان بعدت الشقة ليدفعوا عني شر هذا الشيطان .

## الفصل الثاني عشر

### « اصدقاء نائل »

فقال سعيد :

ـ لا تجزعي ياسيدتي فالامر اهون مما تظنين وسيصبح الزعيم وعصابته اثراً بعد عين قبل ان ينال منا مأرباً .

www.alkottob.com

فقالت العربية وهي تخفض من صوتها :

ـ لم افهم . فهل انت تريد اغتيال الزعيم متى وثق بك ورسخت قدمك في خدمته :

ـ واسفاه يا سيدتي فأن يدي اقصر من ذلك .

ـ فهل تكون عيناً لنا عليه ؟

ـ نعم وهذا كل ما استطيع .

فقالت المرأة وهي تنهد يأساً :

ـ اذن لا تطوح بنفسك فى هذه المغامرة ايها الخادم الامين فنحن لا تنقصنا الرقباء والجواسيس ولا ينقصنا الا صديق له قوة الزعيم وبطشه لنرميه به .

ـ اطمأني يا مولاتى فقد وجدنا هذا الصديق .

فتهلل وجه العربية وقالت وقد رفعت يدها الى جبين كانه صيغ من لؤلؤة بيضاء :

ـ فمن هو هذا الصديق ؟

ـ ليس هو صديقاً واحداً يا سيدتي بل ثلاثة .

فاذكرلي اسماءهم .



ـ ولكنك لا تعرفينهم .

ـ لعلهم بعض اصدقائك .

ـ هيهات فلا مطمع لي في صداقة مثلهم .

ـ فأصدقاء من هم ؟

ـ اصدقاء نائل .

فسكتت والدة الساحرة برهة تفكر ثم قالت :

ـ اصدقاء نائل !!! فمن هم هؤلاء الاصدقاء وهل بلغ من جرأتهم ان يقفوا في وجه هذا الزعيم الجبار ؟

ـ بل هم يأتمرون ان يقاس بهم مثل هذا الزعيم الذي ملأ القطر رعباً ؟

ـ فأين مقرهم ومتي عرفتهم ؟

ـ يقيمون في قريتهم وقد رأيتهم حين زاروا نائلاً في العام الماضي فتبينت في ملامحهم ظرف الشباب وشجاعة الاسود وفي طاقة الواحد منهم ان يصرع زعيمين مثل ذلك الزعيم .

فاطرقت المرأة قليلاً ثم رفعت رأسها بغتة وقالت .

www.alkottob.com

ـ اصدقاء نائل . اتعني اولئك الفتيان الثلاثة نحاف الاجسام صباح الوجوه ؟ لقد تذكرت الآن . فاني رأيتهم حين جاؤا لزيارة نائل . ولعلك مبالغ في امرهم . واذا كنا نحن نخاطر بأرواحنا اضطراراً فما ذنب هؤلاء الفتية تريد ان تستجرهم الى الهلاك معنا ؟

ـ ليهدأ روعك يا سيدتي فانهم لا يهلكون ولقد نظرت اليهم بعين المرأة اما انا فنظرت اليهم بعين الرجل الذي جرب الامور وعرف خلها من خمرها فهم وان يكن اكبرهم لا يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره الا انهم من صلابة العود وقوة البأس والنجدة بالمكانة التي تحي مفاخرنا القومية وقد نشأت صداقتهم لنائل تحت سماء العاصمة ايام كانوا يتلقون دروسهم معاً في المدرسة القبطية الكبرى وانا اعلم ان نائلاً لا يرضى ان يستنجدهم على خصمه ولكني سأحملهم على ذلك من حيث لا يشعر نائل ويومئذ يعلم الزعيم فتوح ان ريحه صادفت اعصاراً .

ونهضت المرأة من مكانها فتحولت الى نافذة الغرفة



ووقفت شاخصة ببصرها في الفضاء . ثم التفتت الى سعيد وقالت :

ـ اذن هذه كل خطتك .

ـ نعم ولا تشرق شمس الغد حتى اكون في ركاب ذلك الزعيم وخادمه الامين ! وقد بقيت لي كلمة .

ـ هات كلمتك .

ـ اتعرفين حمدان الصبي ابن نوفل الذي زوجه سيدي في حياته من ابنة عمه ...

ـ كيف لا اعرفه .

ـ ان لهذا الصبي يا سيدتي منة عظيمة في احباط مكيدة الامس فهو الذي اكتشف سر المؤامرة فأخبرني بها ومني عرف سيدي نائل الخبر .

بورك فيه وسأحفظ جميله في صدري .

ان الشيخ زوج امه من الد اعدائنا فأذا ساء ظنه بالصبي ذبحه ذبح الشاة .

ـ اعرف خبثه وجرأته وسيبقى الامر مكتوماً .

www.alkottob.com

ـ فأنا اترك لك رعاية الصبي ما دمت غائباً .

ـ كن في راحة بال فأنه سيكون تحت كنفي والآن فاذهب راشداً فقبلت الساحرة ثم مدت اليه يدها ايذاناً بانتهاء المحادثة فقبل سعيد انامِلها البلورية وخرج وهو يقول في نفسه لو كان للزعيم فتوح الف روح فباعها في هوى هذه البدوية ما كان الا معذوراً .

فلما كان الغد شاع بين الاعراب وسكان هاتيك المزارع ان سعيداً خان سيدته خيانة لا تغتفر وانه خرج هارباً على وجهه .

وتظاهرت والدة الساحرة بغضبها عليه وطرده من مزرعتها فلم تمض بضعة اشهر حتى نسي الناس ذكره وكانه لم يكن .

ومر على هرب سعيد عام كامل

وفي بعض الايام رأت والدة الساحرة حمدان الصبي يدخل عليها متسللاً فقالت :

ما وراؤك يا بني ؟



ـ كنت ماراً ظاهر المحلة اليوم فلقيني سعيد متنكراً وقد ناداني اليه وعرفني بنفسه .

ثم ماذا ؟

ـ اردت محادثته فقال اترك الحديث والاستفسار الآن فاني على عجل من امري ولا يمضي هذا الاسبوع حتى يتم كل شيء واعود الى سابق عهدي بكم .

## الفصل الثالث عشر

### ( حانة الارمني )

تركنا عبد الرحمن في فصل سبق خارجا من مستشفى الدكتور سوتير بعد ما زار صديقه الجريح وهو يذكر الزعيم فتوح بالتهديد والوعيد .

وكان شفيق قد حدثه حديث الاسود الذي رآه الليلة البارحة في المستشفى مع رفقائه اللصوص .

وقد شكر عبد الرحمن الاقدار التي اتاحت له الاطلاع

www.alkottob.com

في الوقت الملائم على نية الزعيم وسوء ما يضمر لنائل .

وعند الساعة السادسة وقف بمحطة المحلة القطار الذي يصل اليها من طنطا . وكان عبد الرحمن بين ركابه . فلما نزل قصد من فوره مكتب التلغراف ثم اخرج من جيبه ورقة كتب فيها ما يلي :

رياض

انتظرك بمزرعة نائل فاسرع ... عبد الرحمن

واراد ان يمد يده بالورقة الى عامل التلغراف فرأى رجلاً ملثماً يدنو منه وقد حياه بادب فظنه عبد الرحمن يلتمس احساناً فضرب بيده الى جيبه فاقترب الملثم منه وقال همساً :

ـ لا تفعل يا سيدي فلست في حاجة الى ...

ـ فما حاجتك اذن ؟

ـ حاجتي ان لا تدفع هذه الورقة لعامل التلغراف

وعجب عبد الرحمن لفضول الملثم فقال وقد داخلته ريبة في امره : ولكن هذا لا يعنيك

فقال الملثم بهيئة جدية : اتبعني يا سيدي ولا تتردد



فأن لي معك كلاماً .

ثم مشى ومشى عبد الرحمن في اثره فلما انفردا قال الملثم :

ـ اتراك عرفتني يا سيدي ؟

ـ اظنني قد عرفتك ولعلك تلعب بالنار ايها الاسود .

ـ صدقت يا سيدي فأني العب بالنار منذ سنة

ـ لقد آن لك ان تحترق

ـ ولكنك لا تزال في حاجة الي

ـ اليك انت ؟

ـ نعم

ـ وهل تعلم ان ذلك فضول منك لا يطاق

ـ بل هو اخلاص صميم

ـ واخلاص لنا ام للزعيم؟

ـ لا تشك يا سيدي فاني اغامر بنفسي منذ سنة حباً في صديقك وقد حانت الساعة الاخيرة بل الخطيرة ووقوفي معك يعرض مهجتي للتلف فلا تحاول ان ازيدك

www.alkottob.com

بياناً فمزق رسالتك هذه فهي لا فائدة منها وسيوافيك رياض الى المزرعة قبل الساعة التاسعة . اما الآن فالى الملتقى

ثم مضى مسرعاً فقال عبد الرحمن وهو يترسم خطواته : اذهب ايها الاسود فأن علمت بعد ذلك انك كنت مخادعاً فالويل لك اذا اشرقت شمس غد وانا حي

***

ولم تأذن الساعه العاشره حتى اقفرت الطرق وخيم السكون على مزارع البدو فتراءت اشباح مخيفة تغدو وتروح بين تل الساحرة والمزارع .

اما شوارع المحلة وحاناتها فكانت اذ ذاك قد تضاءلت انوارها وخلت من روادها الا قليلاً .

وكانت حانة الارمني واقعة في الجانب الشرقي منها وكانت لا تزال مفتحة الابواب ليل نهار . اما في تلك الليلة فقد دخلها رجلان عند الغروب . تخف صاحبها ملاقاتهما واحتفى بهما احتفاء عظيماً وللحال اوصدت ابواب الحانة .

ووقف الارمني في خدمة الزائرين . واقبلت زوجه



لابسة ثياب المنادمة ...

ولما انتصف الليل ودقت ساعة الحانة قالت الارمنية وقد اسندت خدها الى سبابتها : - اتراك منصرفا الساعة يا سيدي الزعيم ؟

فنهض احد الرجلين حينئذ وقال وهو ينظر الى رفيقه :

- انظنه قد وصل

- بلا ريب

- فلنسرع اذن

فنهض الرجل الثاني . ونظرت اليه الارمنية فقال .

- يكفيك من الليل نصفه ايتها الحسناء

- والنصف الآخر ؟

- هو لغيرك ممن قدر لهم ان لا يروا شمس الغد

- يلذ للارمنية ان ترى كف الرجل مخضوباً بالدم فهل تسعدني بزيارتك وانت عائد من نزهتك الدموية ؟

- ذلك وعد لا املكه ..

ثم قبلها قبلة طويلة وخرج ورفيقه يتبعه

www.alkottob.com

فقالت المرأة وهى تغلق الباب وراءهما :

ما ابهاك في نظري ايها الزعيم السفاح . وما اشهاني الى سفك الدماء وقتل الابرياء

## الفصل الرابع عشر

### ( صراع عنيف )

سار الزعيم يتبعه صاحبه حتى خرجا من المحلة فوجدا في انتظارهما اسود يقود فرسين فامتطياهما وانطلق الثلاثة كانهم رمز الرعب يخوض في احشاء الظلام

وكان الخادم الذى فى ركابهما صاحبا سعيداً

اما الفارسان فكانا فتوحاً ونائبه

وكانت وجهتهم مزارع البدو . فلما توسطوا الطريق وقع بصر الزعيم على شيخ يقصد قصده

فصاح بصوت كانه زئير الوحش من المقاصد ؟

فلم يسمع جواباً



وظل الشيخ يقترب منه حتى امسك بعنق جواده .

فقال الزعيم وهو يرفع يمينه :

ـ الا تتكلم ؟

ـ لاتغضب ياسيدى فأنا صديقك نائل ... علمت انك مشرف الليلة بزيارتك فاعددت لك كل مافي وسعي احتفالاً بقدومك ثم خرجت لملاقاتك ومعى صديق لي

فقهقه الزعيم ساخراً وقال : يسرني ذكاءك ايها الصبي وما اسعدك الليله بلقائي .

ثم مد اليه ذراعاً كأنه عنق بعير

وكان رفيق نائل واقفاً ينظر فلما رأى الزعيم مادا ذراعه يريد ان يبطش بصاحبه اسرع فدفع نائلاً الى الوراء وقال: اذكر وعدك ايها الصديق .

فحملق الزعيم الى هذا الخصم الجديد وقال وقد بح صوته غيظاً :

تالله ما رأيت كالليله ألم يجد ذلك البدوى الاخرق غير الصبيان يدفعون عنه ؟

www.alkottob.com

فقال رفيق نائل وقد ضم يديه الى صدره : الا تنزل عن جوادك ايها الزعيم ؟

فابتسم الزعيم ابتسامة صفراء ، وقال وهو يمسك غضبه :

عبد الرحمن . احد الفتيان الثلاثة ؟؟؟ ادركت الآن يابني فالآن وقت عطلة المدارس وقد حسبتما اني انما جئت للمسابقة واللعب . وهذا خطأ وحماقة فما جئت الا ...

ولكن عبد الرحمن عاد فقال مقاطعاً : الا تنزل عن فرسك ايها الزعيم ؟

فهز فتوح كتفيه استخفافاً ودفع فرسه . ولكن عبدالرحمن امسك بعنانه . فسمر فرس الزعيم في مكانه

وانقلب استخفاف فتوح سخطاً فصاح : اتعترضني ايها الولد ؟

فقال عبد الرحمن وهو يخفض صوته :

اسمع ايها الزعيم . ان لصوصك الآن محيطون بالمزرعه وهم في انتظارك ولكن هؤلاء الاشقياء قداحيط بهم كذلك واصبح وصولك اليهم محالاً . فترجل عن جوادك اذن فأن



بيني وبينك حساباً .

فثارت نفس فتوح دفعة واحدة وقدحت عيناه شرر

فقال وهو يلقي بنفسه الى الارض : لقد غرك صبري ايها الصبي ثم اهوى اليه بيده يريد اجتذابه فلم يستطع . فاظلمت الدنيا في عينيه ورمى بنفسه على عبد الرحمن فتماسكا بالايدي واشتد عراكهما

وكان نائب الزعيم لا يزال ممتطياً فرسه وخنجره في يده .

وقد دام صراع الخصمين نحو ٤٠ دقيقة .

ثم سمع طلق ناري من ناحية المزارع ففزع نائل وقال وهو يعض سبابته : لقد هوجمت الساحة . كيف اذهب واترك صديقي بين عدوين ؟

وحينئذ خطى الى رفيق الزعيم وقال مشيراً بخنجره :

ترجل ايها اللص واسرع فيجب ان انتهي من امرك قبل مغادرة هذا المكان .

فوثب الرجل عن فرسه شاهراً خنجره .

www.alkottob.com

فابتدره نائل بضربة خنجر ولكن الضربة لم تصب .

وضحك نائب الزعيم وقال وهو يضع رأس الخنجر على خاصرته استهزاء : ما اجمل صراع الصبيان .

ولم يتم اللص كلمته حتى رأى عبد الرحمن قد جذب نفسه من يد الزعيم راجعاً القهقرى .

فاغرق نائب الزعيم في ضحكه وخفق فؤاد نائل خوفاً على صديقه .

ولم يكن الا كلمح البصر حتى عاد عبد الرحمن فانقض على خصمه انقضاض الصاعقه وضربه بقدمه فقذف به من مكانه . ولم يتمالك الزعيم ان صدم نائبه وهو واقف يضحك فسقط الاثنان وكان سقوطهما فجائياً عنيفاً .

وعند ذلك صرخ نائب الزعيم متألماً : لقد هلكت .

ذلك لان نصل الخنجر غاص في خاصرته عند سقوطه .

وحاول الزعيم ان ينهض ولكن عبد الرحمن اسرع فوضع قدمه على عنقه فصرخ وهو يتململ :



ـ اقتلني ايها الصبي الملعون

ـ لا بأس عليك ايها الزعيم

ـ اقتلني ايها الصبي الملعون

ـ هيهات ان ادنس يدي بدمك

والتفت عبد الرحمن الى نائل فقال : اعطني خنجرك ايها الصديق .

ثم كشف عن صدر الزعيم فرسم عليه برأس الخنجر دائرة صغيره . فازداد الزعيم اضطراباً وصاح متوجعاً : هذا محال . اريد الموت في هذه الساعة . ان الشنق عار .

فرفع عبد الرحمن قدمه عن صدره قائلاً : انهض الآن واذا كنت ممن يعافون المشانق فانك تعرف كيف تموت .

فنهض فتوح قاصداً فرسه فلما استوى على متنه واراد ان يعمل المهماز في شاكلته التفت اليه عبد الرحمن فقال : لا تنس التذكار الذي زينت به صدرك ايها الزعيم .

فقال فتوح وهو يركض جواده : كيف انساه وهو رمز هلاكي المحقق .

www.alkottob.com

## الفصل الخامس عشر

### ( جزاء الظالم )

كان اللصوص قد احدقوا بمزرعة نائل منذ الساعة العاشرة .

وبعد ان اخذوا مواقفهم جاء جماعة اخرون وجثموا وراء اللصوص على بعد كيلو متر منهم فلم يشعروا بهم .

والظاهر ان رجال الزعيم كانوا لا يريدون مهاجمة الساحرة فاقاموا عشرة منهم على قارعة الطريق التي تمتد شرقي مزرعتها ليرقبوا كل داخل اليها او خارج منها .

وكانت مراقبة اللصوص على اتمها . ومع ذلك فان شبحين اقبلا خلسة من الناحية الغربية فتسورا سور المزرعة فلم يفطن لهما احد منهم .

وقضى اللصوص في مكانهم نحو ساعتين لا يبدون حراكاً .



ثم ما عتموا ان التفتوا الى الوراء متلمين اعناقهم . فقد ظنوا ان فرساً يركض على الطريق . ثم تبينوا وقع حوافره وهو يدنو منهم فجعلوا ايديهم على اسلحتهم .

ولكن الفرس ظل يعدو حتى اقتحمهم فاخلوا له الطريق بالرغم منهم .

وكاد الحصان يبلغ سور مزرعة الساحرة .

غير ان هذا الحيوان كان جريئاً . ورجال الزعيم لا يغتفرون له مثل هذه الجرأة .

كيف يمر بينهم ذلك الفرس اللعين غير مصغ لدمدمة غضبهم ؟

اذن لا بد لهم ان يسمعوه دمدمة رصاصهم .

وللحال اطلقت عليه رصاصة .

وهنا اضطر الحيوان المسكين ان يصغي . ولكن اصغاءه لم يلبث ان انقلب انيناً . فوضع الفارس قدمه على الارض قائلاً : شلت ايديهم فقد اصابوك ايها الفرس الكريم .

واذ ذاك فتح باب المزرعه وسمع الفتى صوتاً يدعوه

www.alkottob.com

للدخول .

وما كاد يخطو الى فناء المزرعه حتي وجد نفسه بين امور ثلاثه :

١ ـ دمدمة رصاصه اخري

٢ ـ رجل يغلق الباب وراءه

٣ ـ نافذه ينبعث منها النور في الدور الثالث من بيت المزرعه

اما الرصاصه فكان هو المقصود بها . ولكن الباب كان قد اغلق فانشبت الرصاصه فيه واكتفت بالبقاء خارجاً .

اما الرجل فانه لم يكترث له كثيراً .

والنافذه ؟

لقد كاد صواب الفتي يطير حين وقع بصره علي تلك النافذه .

وللحال رفع بندقيته اليها مصوباً فتعلق الرجل بذراعيه وقال بصوت خافت : لا تفعل ياسيدي فقد تخطيء المرمي :

فالقي بندقيته الى الرجل ودخل البيت مسرعاً .



ولما بلغ الدور الثالث وجد باب الغرفة مفتوحاً وسمع فتاة تصرخ قائلة : اضرب ايها الذئب فستصعد روحي الى السماء طائرة على اجنحة هذا الهوى العذري فرصاصتك لا تخرق صدري ولكنها تفتح لنفسي العاشقة باب الخلود . انني احب نائلاً وسعادتي ان اموت في حبه

ولكن الفتى الذي نحن بصدده كان قد اصبح معهم فقطعت الفتاة كلامها

وكان الشقي خصم الفتاة مولياً باب الغرفة ظهره وقد رفع ذراعه الأثيمة يريد افراغ مسدسه في صدرها

وفي الحال صرخ متألماً وسقط مسدسه من يده .

ذلك ان ضربة سوط شديدة اصابت ساعده .

فالتفت الى غريمه ولما رآه صاح وقد دهش : انت هنا رياض . الصبي القبطي !!!

واهوى الشقي الى الارض يريد ان يلتقط مسدسه فضربه رياض بسوطه مرة ثانية

فوقف منتصب القامة .

www.alkottob.com

وكانت هناك امرأة تلقي بنفسها على الفتاة لتقيها رصاصة عدوها .

ولكن عدوها كان مخلوقاً بغير قلب

وبلغ التأثر من رياض مبلغاً عظيماً فقال للمرأة . لعلك والدتها يا سيدتي ؟

غير ان الرعب كان قد عقد لسان المرأة فلم تستطع جواباً .

فالتفت رياض عند ذلك الى الشقي وقال واطرافه ترتعد غضباً : ايها الوحش الضاري انني لا احب منافشة مجرم . ولكني سأقرأ عليك حكماً خطته يد القدر المحتوم على جبينك الدنس

فاعلم ان موقفك الآن من هذه الفتاة جريمة لاتغتفر .

اما تعريضك بالدين في حين اننا جميعاً مصريون قبل كل شيء فسهم صائب في صدر الوطنية . وتلك مسألة فيها نظر

ان المروءة والوطنية تصرخان الساعة في صدر كل



مصري كريم هما تطلبان انتقاماً حقاً وسأنتقم لهما منك وان كان لا يشرفني ان اكون جلادك .

ثم خطي نحو الشقي فاختطفه اختطافاً ومد ذراعه من نافذة الغرفة وهو معلق في يده كانه عصفور في مخلب باشق ورمي به الى الارض بقوة . ثم قال : الى الجحيم وارجو ان لا تقذفك الى العالم مرة اخرى .

وهوى الشقي الاثيم الى الارض فاندقت عنقه لساعته .

وكذلك جزاء الظالم .

وفي تلك الساعة دخل الرجل الذي فتح باب المزرعة لرياض فقال : سيدتي .

فقالت الفتاة : سعيد : سعيد

ثم دنى من الساحرة ووالدتها فجعل يقبل ايديهما

ولم يترك لهم رياض مجالاً للكلام فقال لسعيد :

ـ ابن عبد الرحمن ونائل ؟

ـ تركتهم مشتبكين بالزعيم على طريق المحلة

ـ اي زعيم تعني ؟

www.alkottob.com

ـ الزعيم فتوح

ـ ان حديثك يدهشني ايها الاسود فقد عرفتك خادماً لهذا الزعيم

ـ وعدوه ايضاً

فقال رياض مستخفاً :

ـ ربما . ولكني اريد مساعدة صديقي فاسرع بي اليهما .

ـ لا سبيل الى ذلك ياسيدي

ـ ولماذا ؟

ـ لان سيدتي ضياء ووالدها لا ينبغي ان يتركا وحدهما في مثار الزوبعة . ثم ازيدك ان اللصوص في طريقنا وقد كمن رجالنا من ورائهم والزعيم وصديقاك مشتبكون خلف رجالنا فالوصول اليهم يكاد يكون مستحيلاً .

ـ وهل الزعيم وحده ؟

ـ ليس معه غير نائبه

ـ اثنان فقط ؟ اذن لقد افل نجم الزعيم وما علينا الان



لا ان نستعد لمقابلة هؤلاء الضيوف الثقلاء اذا ارادوا دخول المزرعة .

وكانت الساحرة تسمع وتتلهف فقالت وهي تضم يديها الى صدرها : اذن فالخطر لا يزال محيقاً به ...

واراد رياض ان يهدئ روع الساحرة فنظر اليها مبتسماً ثم قال : لا تبالي يا سيدتي فصديقي وحبيبك نائل لا خوف عليه ما دام معه عبد الرحمن .

وسرى عن الساحرة قليلاً فقالت : اشكرك يا سيدي ويسرني ان يكون لنائل اصدقاء مثلكم .

واستعادت والدة الساحرة صوابها فحدقت برياض شاكرة معجبة ثم قالت وهي تمسح دموعها : هنيئاً لمن كنتم اصدقاءه ايها الفتيان .

* * *

ثم طرق مسامعهم انين رجل فنظر رياض الى سعيد مستفهماً فقال وعينه الى الساحرة ووالدتها :

ـ انين شيخنا الخبيث صاحب سيد الذي ارسلته الى

www.alkottob.com

الجحيم منذ دقائق .

ـ وما شأن هذا الشيخ ايضاً ؟

ـ هو الشيطان بعينه وقد كنت في اثرك حين صعدت الى هنا فوجدته منزوياً يتأهب للغدر بك فشددت وثاقه ليتلذذ رجال الحكومة غداً باستنطاقه

ـ الا تصفح عنه ؟

ـ ليتك تعلم يا سيدي فهو جرثومة الشر وعلى رأسه تقع تبعة الدماء التي ستصبغ اديم الارض في هذه الليلة .

## الفصل السادس عشر

### ( عواطف الشباب )

كان رياض قد حول نظره الى النافذة التي طرح سيدا منها فما لبث ان اجتذب بندقيته من يد سعيد وكانت لا تزال معه وقال وهو يخرج من الغرفة عدواً : ان اللصوص يحاولون تسلق سور المزرعة وهم لا يصلون اليكم الا اذا مروا فوق جثتي .



وكان اللصوص الذين قتلوا فرس رياض عند باب المزرعة قد صمموا على الدخول اليها لينتقموا منه جزاء اقتحامه اياهم ووصوله اليها بالرغم منهم .

ولم يخرج رياض الى فناء المزرعه حتى رأى اكثرهم فوق السور فاطلق بندقيته ارهاباً .

ولكن رجال الزعيم لا يرهبون شيئاً فاستمروا يعتلون الحائط غير مبالين .

ورماهم رياض بطلق آخر . فهوى احدهم الى الارض صارخاً واعقب ذلك صيحات غضب بين اللصوص .

وعلم رياض ان امره مع اولئك الاشقياء اصبح خطيراً وانهم لا يرجعون او يثأروا لرفيقهم فقال في نفسه . لقد احرجتموني ايها القتلة واذا كان الموت نصيبي الليلة فلن اموت قبل ان افعل ما استطيعه بكم .

ثم افرغ بندقيته للمرة الثالثة . فسمعت صرخة الم وتلاها سقوط رجل آخر .

وقد ذكرنا ما كان من نائل حين وقع في مسمعه اول

www.alkottob.com

طلق ورفيقه مشتبك بالزعيم

وسمع اللصوص الذين يحاصرون مزرعة نائل تلك الطلقات النارية فأسرعوا بأنجاد اخوانهم عند مزرعة الساحرة . ثم بدؤا يضربون باب المزرعة بفؤوسهم ضرباً عنيفاً .

وادرك رياض ان حبيبة نائل ووالدتها لا بد قد عاودهما الخوف لهذا الهجوم فقال : تباً لكم من ادنياء فلو تعلمون اي ملك كريم تروعونه الساعة .

ولم يكن الا قليلاً حتى حطم الباب واندفع اللصوص منه .

ووقف رياض تحجبه الظلمة عن اعينهم فجعل يرميهم برصاصه تباعاً .

فاضطر الاشقياء عندئذ ان يقفوا زحفهم وقد عولوا على امر جديد فقاموا صفاً واحداً ثم انطرحوا على الارض واطلقوا رصاصهم دفعة واحدة .

وكادت بندقية رياض تسقط من يده فقال وقد عض شفتيه الما : الآن اخشى ان اعجز عن صدكم ايها الجبناء



ولا اخالني ناجياً من قبضتكم .

لقد شعر هذا الشاب الكريم ان رصاصة اصابت ساعده وظن ان اعداءه سيطلقون عليه غلالة نارهم مرة اخرى وربما كان فيها حتفه . وما اسرع ما مرت الساحرة وانها في مخيلته فاشتعلت نار النخوة في رأسه ونسي الالم والموت والحياة وكل خاطر آخر . واشرع بندقيته وذراعه تسيل دماً .

ومع ذلك فأن رياضاً لم يطلق على الوحوش بعد اصابته غير رصاصتين فقط . اما الثالثة فأنه لم يجد فائدة من اطلاقها .

ذلك لان جبل اللصوص قد اضطرب بغتة واستولى عليهم ذعر شديد فأخذوا يستبقون الباب مدبرين .

ولكنهم لم يخرجوا الى الفضاء حتى اخذهم الرصاص من كل ناحية وؤثلة من البوليس الراكب تسد طريق الهرب في وجوههم . فقصدوا مزرعة نائل للانضمام الى اخوانهم هناك . فوجدوهم قد نكبوا باكثر من نكبتهم وهم يطلبون النجاة فلا يجدون اليها سبيلاً

واراد رياض ان يخرج في اثرهم ليتبين امر هذه

www.alkottob.com

المعمة الثارية .

ولكن ضياء ؟ الساحرة الفاتنة . البدوية العاشقة . الفتاة التي تريد ان تموت في حب صديقه . كيف يتركها والخطر يهددها من كل جانب ؟

لذلك عدل عن رأيه وعول على البقاء حيث هو .

فوقف ساكناً متأملاً .

ذكر الساحرة فعاودته ذكري امور قديمة :

يا لله . لقد كنا منذ سنوات في العاصمة . كنا نسكن بيتاً واحداً . وندرس في مدرسة واحدة . كان للجمال سلطان على قلوبنا . كان ذلك شأننا جميعاً الا نائلاً . قد كنت احسبه على العكس من طباع قومه . ظننت ان حاسة الجمال ضعيفة في نفسه . اما الآن فقد علمت . لقد كانت هذه البدوية الفتانة ممثلة لعينيه دائماً . فكان كل جمال في العاصمة يعجز عن اجتذابه اليه . والحق معه .

لله نفسك يا صديق . اكنت تبخل بذكر هذا الجمال حتى علينا ؟ كنت تغار ان يذكر على لسان غيرك



ذلك الجمال الفطري . ابن السماء والهواء . ينبغي ان لا يذكر بين جدران العاصمة المتبرجة المائجة .

والحق في جانبك ايها الصديق .

ولكن اين انت الساعة ؟ اخشى ان تعود الذئاب فتمزقني انيابها قبل ان اقص عليك كل شيء . قبل ان اقول لك : اهنأ يا صديقي فليست حبيبتك الهة الجمال فقط . ولكنها الهة الحب ايضاً .

تلك كانت خواطر رياض . خواطره ويد الموت تمتد اليه من كل ناحية . خواطره التي كان يبسم لها وجرحه ينطف دماً .

فما ارق عواطف الشباب . وما اجمل الشجاعة في صدور الشبان

* * *

ظن رياض ان سعيداً لا يزال مع سيدتيه الساحرة وامها . والحقيقة ان سيداً نزل في اثره ولم يشعر به .

وكان رجال الزعيم الذين احاطوا بمزرعة نائل قد تسرب

www.alkottob.com

القلق الى نفوسهم لتأخر الزعيم . وهم مع ذلك منصتون لما يجرى في مزرعة الساحرة بين رياض ورفاقهم .

وكان البدر قد بدأ يرسل اشعته من وراء الافق .

ورأى اللصوص شبحاً يقصدهم وهو يمشي على اربع فابتدر اليه مقدمهم ولما تبينه صاح همساً : سعيد .

لقد جئت اخيراً فأين الزعيم ؟

فقال سعيد وهو يظهر الاضطراب والجزع : الزعيم لا يزال وراء ظهوركم علي طريق المحلة . ولكن اسمعوا ايها الاخوان فقد سقطنا في مكيدة هائلة . وقد اضطررت ان ادور دورة واسعة حتى اصل اليكم . وليس ذلك كل ما وقع فأنى رأيت في طريقى اليكم قوة من البوليس كانت تقصد غير هذه الجهة . بيد ان نيران الرفاق الذين يهجمون علي المزرعه الاخرى حولت انظارهم اليها ولا شك انهم امامها الآن .

فصاح المقدم : ولكن الزعيم . اين الزعيم ؟

فقال سعيد وهو يضع يده على عينيه : هيهات ان تروه



ـ ولماذا ؟

ـ لانني تركته جثة هامدة :

فاسقط في ايدي اللصوص وجدوا لهذ الخبر

ودوى الرصاص على حين غرة من ورائهم . ففروا على وجوههم والتقوا باصحابهم الفارين من مزرعة الساحرة ورصاص البوليس في ظهورهم

وكان نائل وعبد الرحمن في مقدمة الهاجمين

وقد سقط كثيرون من اللصوص . والتجأ بعضهم الى جدران المزارع المجاورة وانطرح البعض الآخر على بطونهم حذر الهلاك .

* * *

أشرق وجه القمر فبدل تلك الظلمة نوراً

وكان المأمور وشرطته ومعهم طبيب المركز منتشرين في تلك الساحة فاحصوا القتلى وكانوا خمسة عشر بينهم ثلاثة من رجال المزارع اما الجرحي فبلغ عددهم عشرين رجلاً .

واقترب الطبيب من المأمور فقال :

www.alkottob.com

- تلك مذبحة يا سيدي

- ولكنها ستمكن الحكومة من القبض على ذلك الزعيم الجبار . ولو علم المدير ما نحن فيه الساعة لطار الينا بنفسه فهو لا يكاد يفرغ لشيء غير امر هذا الطاغية

- اذن ينبغي ان يبلغ اليه الخبر باسرع ما يستطاع

- سأكون عنده قبل الصباح ومعي نائل واصدقاؤه

- يظهر انك موفق يا سيدي فقد سافتك الصدفة الى الاشتراك في هذا الحادث الذي ستدوي له انحاء البلاد

- وانك شريكي في هذا التوفيق يا دكتور . وسارسل الآن الى معاون المركز ليذهب معك الى مكان الحادثة التي خرجنا من اجلها .

واجتمع الاصدقاء الاربعة في مزرعة الساحرة وقد نزع الطبيب الرصاصة من ساعد رياض ونصح له ان يستريح الى الصباح .

فوقفت والدة الساحرة بنفسها في خدمته .

ورآها سعيد وهي تعطف على رياض عطفاً يشرق



نوره في عينيها فقال في نفسه : هنيئاً لك من فتى . فتلك مكافأة لا يحلم بها غيرك ...

## الفصل السابع عشر

### ( حديث يوم وليلة )

وانفرد المأمور في مزرعة نائل للتحقيق .

ثم دخل عليه سعيد

فقال المأمور وهو يطيل النظر اليه :

- ان نائلاً يريد ان اجعل كلامك فاتحة محضري فما هي قصتك ؟

- ان قصتي ترجع الى سنة ولكن الذي يهمك منها يا سيدي حديث يوم وليله فقط .

- والبقية ؟

- بقية حديثي تسمعه من نائل واصدقاه وسيدة اخرى

www.alkottob.com

- اى سيدة تعني :

- والدة الساحرة

- فتكلم اذن

- ان الزعيم فتوح قد عاد الليلة الى قريته منهزماً وهو لا يعيش طويلاً بعد وصوله اليها فقد عاشرته عاماً كاملاً وفي اقل من ذلك كفاية لمعرفة اخلاقه . وعلى كل حال فانه الى الآن يحسبني خادماً وصديقاً

ففي اصيل امس وصلت طنطا موفداً من قبل الزعيم لادعو بعض رجال عصابته لملاقاته الى هذه المزارع .

ولما سرت في شارع الجعفرية حدث حادث كان المدير من شهوده

وكان عبد الرحمن بطل ذلك الحادث . وكنت في اشد الحاجة الى لقاءه وقد انطلقت في اثره حتى دخل مستشفى الدكتور سوتير وصديقه شفيق على يده فلم تمكني الفرصة من محادثته . ثم قصدت مكان الاشقياء الذين جئت لدعوتهم فلاقيت واحداً منهم وكان اشدهم بطشاً واكثرهم ضراوة



فلما رآني صاح بي : لقد جئت ولا بد لك من مصاحبتي الليلة .

وكانت نشوة الخمر في عينيه .

ولما جن الظلام سار بنا الى قرية يريد مباغتتها وكان معنا اثني عشر رجلاً

وكنت قد صممت على امر . فلما دخلنا القرية اخذتنا صيحات اهلها واختلطوا بنا فغافلت الشقي ووضعت خنجري في صدره ثم حملناه وغادرنا القرية في هرج واشرت على اللصوص بعرضه على الدكتور سوتير . فلما دخلنا المستشفى رأيت شفيقاً وهو على سريره فتلطفت ومثلت امامه دوراً متقناً كفاني مؤنة لقاء عبد الرحمن

ثم فارقنا المستشفى ونحن نحمل الشقي جثة لا حراك بها .

وخرجت من طنطا صباح اليوم مطمئناً فجعلت طريقي على قرية الفتيان الثلاثة اصدقاء نائل وهناك لقيت رياضاً فاخبرته اني رأيت عبد الرحمن في طنطا وانه سينتظره

www.alkottob.com

بمزرعة نائل ولا بد له ان يوافيه اليها بعد الغروب .

فقاطعه المأمور وقال :

ـ الم تطلع رياضاً على الحقيقة ؟

ـ كلا

ـ الم يكن اطلاعه عليها واجباً ؟

ـ ولكن جدران القرى لا تحفظ سراً ويهمني نجاح خطتي ونجاة مهجتي . وان الفتيان الثلاثة ألو جرأة فلو ذكرت الحقيقة لرياض لصاح بملء فيه : ان الزعيم الملعون يريد قتل صديقي فالويل له ولا بد لي من الذهاب اليه . لاجدع انفه واصطلم اذنيه .

فضحك المأمور وقال : اتم حديثك .

فقال : تركنا قرية الزعيم ظهر اليوم قاصدين المحله .

وكان الشك قد خامرني وخطر لي ان عبد الرحمن ربما لا يزور صديقه شفيقاً اثناء النهار فيكون ذلك سبباً في فساد عملي . وضياع املي . وضاق صدري لذلك فقصدت المحطة . ولما وصل القطار رأيت عبد الرحمن ينزل مسرعاً وقد دخل



مكتب التلغراف فحلت بينه وبين البرقية التي اراد ارسالها الى صديقه رياض في القرية . ومع ذلك فارقته وهو غير واثق مني .

وعند منتصف الليل كنت في انتظار الزعيم ونائبه على مقربة من المحلة . وما كدنا نتوسط الطريق الى المزارع حتى اعترضنا نائل وصديقه . فتركتهم في صراعهم قاصداً مزرعة الساحرة .

وكان ظني ان رياضاً قد وصل ولكني لم اكد اتسلق سور المزرعة وانا احاذر اعين اللصوص حتى ظهر فرس يجري على الطريق ولما بلغ المزرعة عرفت ان الفارس رياض وقد قتل فرسه تحته فدعوته الى دخول المزرعة . وقضينا نصف ساعة في غرفة السيدة . ثم نزل فنزلت في اثره .

فقال المأمور :

ـ الا تقص علي حكاية الشقيين الذين هاجما الساحرة ؟

ـ اترك ذلك لرياض متى جاء دوره فهو الذي انقذ الساحرة ووالدتها .

www.alkottob.com

ـ الم تجدا فى المزرعة حراساً عند دخولكما اليها ؟

ـ لم نجد احداً ولكن نائلاً اخبرني انه كان ترك بها اربعة من اشداء رجاله والظاهر ان سيداً خدعهم فأخرجهم من المزرعة .

لا بأس فاذا جرى بعد ذلك .

ـ بعد ذلك قصدت اللصوص الذين يحاصرون هذه المزرعة التي نحن فيها الآن وقد قطعت المسافة بين المزرعتين مشياً على بطني خشية ان يراني احد فيجعل تحيتي رصاصة تخرق رأسي .

ولما قربت من مواقف الاشقياء رأيتك انت ورجالك حين عطفتم على مزرعة الساحرة وكنت قد يأست من نجاة رياض فهدأ روعي لذلك .

ولما وقفت بين اللصوص اخذوا يسألوني عن الزعيم فكان جوابي شؤماً عليهم . وهجم عليهم الكمين من ورائهم فلما فروا نحو مزرعة الساحرة وجدوك فى وجههم . وقد علمت خاتمة امرهم .



وبعد أن سمع المأمور ما شاء من اقوال نائل واصدقائه قال لهم : يكفى الآن ما اثبتناه من اقوالكم في هذا المحضر خذوا اهبتكم للسفر معي الى طنطا فأنه يجب ان يرانا المدير قبل ان تأذن الساعة الثالثة

فقال عبدالرحمن : انا معك وسيصحبنا سعيدا ما رياض ونائل فيلحقان بنا الى طنطا في قطار الصباح .

فقال المأمور . سننتظرهما هناك وليكن معهما حمدان الصبي .

## الفصل الثامن عشر

### ( كان قلبه نائماً فانتبه )

نعود الآن بالقارئ الى طنطا وندخل معه مستشفى الدكتور سوتير فأن شفيقاً بعد ان تركه عبدالرحمن اخذت تجول بمخيلته الافكار والهواجس فترسم على جبينه اثاراً متباينة .

www.alkottob.com

وكان الدكتور يراقبه من طرف خفي :

فلما كانت الساعة الثامنة مساء خرج الدكتور من المستشفى وقد اوصى ابنته ان تجعل شفيقاً موضع عنايتها .

وكانت الآنسة دي سوتير قد قضت الليلة البارحة وهي تحلم بشفيق وحديثه .

الما اصبحت دخلت المستشفى وعيناها لا تبحثان الا عن شفيق . فاذا هو لا يزال نائماً فحيته تحية النائم .

وتحية النائم لا تكون عادة الا عن طريق الروح .

وقد قضت سحابة نهارها تسارقه النظر .

وكانت قد ادركت ان شفيقاً تساوره الخواطر على اثر محادثته مع عبد الرحمن

فلما خرج ابوها اخذ فوآدها يخفق خفقاناً سريعاً .

واشتدت هواجس شفيق ورأته الآنسة وهو يحاول النهوض .

ثم وثب عن سريره متجهاً الى النافذة ووقف يرسل الى الفضاء نظراً شارداً .



ولما التفت رأى الفتاة تدنو منه وقد صبغ الحياء خديها .

فقال شفيق : اعذريني يا سيدتي فقد ازعجتك .

قالت : ولكني ارجو ان ترفق بنفسك .

فحول شفيق نظره الى النافذة ثم صاح صيحة خفيفة وقال وهو يرفع قبضته : لك الويل من وحش . ان رفاقي يصطدمون بك الليلة فالويل لك اذا سقطت شعرة من رؤوسهم . ان حياتي الساعة لمن يأتيني باخبارهم . فاي قدر يمسكني الآن في هذا السجن .

ثم اهوى بقبضته الى الحائط .

فارتاعت الفتاة وقد رأت حماسته تكاد تنقلب جنوناً .

وخشيت العاقبة فامسكت بيده وقالت : اذكر يا سيدي انك في مستشفى ...

فقال وهو يعض شفته : نعم يا آنسة . وانني فيه تحت رعاية ملاك كريم ...

فقالت وهي تشد على يده : واذكر انك في حاجة الى الراحة وان حياتك قبل كل شيء

www.alkottob.com

قال : ولكن حياتي تصبح بغير قيمة اذا فقدت احد اصدقائي . .

قالت : اصدقاءك ... اني ادعو لهؤلاء الاصدقاء

وكان حديثهما بالفرنسية وفي لهجة الفتاة رقة باريسية كادت تنم على ما في صدرها . وقد اثرت في نفس شفيق عذوبة حديثها تأثيراً انساه موقفه .

وكانت لا تزال ممسكة بيده فأحس كأنه يلامس جذوة نار .

وتأمل الفتاة فأذا في عينيها الفاترتين، معنى سامياً .

فاهتز شفيق .

وتنهدت الفتاة فأطرقت تحاول اخفاء هذا التنهد .

غير ان شفيقاً لم يعد يخفى عليه حالها .

فانبعث في قلبه للحال عاطفة جديدة .

لقد كان قلبه نائماً فانتبه .

وعاود الحديث فقال : اتعطفين على اصدقائي يا آنسة :

فغضت الفتاة من بصرها .



فقال شفيق : بالله لا تغضي بصرك عني فأن نظراتك تشفيني .

وعلمت الآنسة ان الهوى بينهما اصبح متبادلاً .

فرفعت اليه عينيها وقد سطع فيهما نور الغرام .

ووقف شفيق ينظر اليها نظرة المأخوذ .

انهما كانا يمثلان في ذلك الوقت اجمل اسرار الحياة :

لقد كانت تمثالاً حياً للجمال . وكان هو عابده المفتون .

ثم قال شفيق : الا تتكلمين يا سيدتي

تخالط جبينها الناصع اصفرار زاد في لوعة الفتى

وقالت وهي تحجب سناء وجهها بيديها : لست اعطف على اصدقاءك فقط ولكني احبهم من اجلك يا شفيق .

فرفعها الفتى بين ذراعيه وقال وهو يلثم فمها : لقد احببتني يا كاترين

***

وعاد الدكتور في منتصف الليل فرأى شفيقاً نائماً وكاترين على مقربة من سريره فقال :

www.alkottob.com

- كيف حال الجريح يا آنسة ؟

- على ما تحب يا ابتي

- ان عنايتك به تعجبني يا كاترين ولكني اخشى ان تكون عناية مصدرها القلب ...

- لا تخش شيئاً يا ابتي

- اذكري ان جريحك .. شاب مصري

- الا يستحق الشاب المصرى حب الفرنساويات ؟

- وا أسفاه يا بنية

فامتقع لون كاترين وقالت :

- هذا غرور يا ابتي

- انني يا ابنتي من اكثر الناس حباً للمصريين ولكن هذا لا يمنعني ان انصح لك . .

- هذه نصيحة معكوسة وارجو ان تعدل عن رأيك

- ليت ذلك بيدي يا بنيه

فنظرت كاترين الى سرير الجريح النائم نظرة شغف وحب ثم قالت وهى تغالب غضبها : اقسم يا ابتي انك لظالم .



وانصرفت بعد ذلك تريد ان تنام ولكنها لم تنم .

وقد سارعت الى المستشفى قبل طلوع الشمس فوجدت ابها منكبا على عمله وشفيقاً ينظر الى الباب .

فرفعت يدها الى شفتيها ووضع شفيق يده على صدره .

ارادت كاترين ان تحييه تحية الصباح فارسلت اليه تلك القبلة خلسة

واراد هو ان يقول : ان حياتي لك يا كاترين

فقد ارقت الليلة في هواى

وفي فتور عينيك اجمل شاهد

## الفصل التاسع عشر

### ( عاقبة الزعيم )

وطرق اذ ذاك باب المستشفى وسمع الجماعة صوت عربة تقف عنده فقال الدكتور : هذا زائر مبكر

والتفتت كاترين فرأت على دهشة منها عبد الرحمن

www.alkottob.com

ومعه سعيد يدخلان وفي اثرهما مدير الغربية وقاضي التحقيق فنظرت الى شفيق فاذا به قد استوى في مكانه وبسط ذراعيه مستقبلاً عبدالرحمن فسارع اليه وهو يقول . اطمئن يا شفيق فقد نجا نائل .

فصاح شفيق :

ـ والزعيم ؟

ـ الزعيم لا يزال حياً

ـ لا يزال حياً ؟

ـ لا تخف يا صديقي فقد منت عليه بروحه ولكن ساعاته اصبحت محدودة .

واحتدم شفيق حين رأي سعيداً ينظر اليه مبتسماً فصاح :

ولكن هذا الشقي الاسود ما شأنه معك ؟

فضحك عبدالرحمن وقال وهو يضع يده على كتف صديقه :

ـ لا تغضب فلولا هذا الاسود لكان نائل الآن في



في عالم غير عالمنا

ـ فما بال نائل لم يحضر معك ؟

ـ هو قادم في القطار ومعه رياض

ودنى حينئذ قاضي التحقيق من المدير فقال . لقد عرفنا الآن ما نريد من شفيق فلا معنى لازعاجه بعد ذلك

ثم مال الى الدكتور فقال :

ـ اعلم يا دكتور اننا بصدد حادث لا كالحوادث واقوالك تفيدني فيه كثيراً فأرجوا ان تصحبني الى دار التحقيق فأن ثقتي بك عظيمة .

ـ ان هذه الثقة منك تشرفني يا سيدي القاضي

ثم خرجوا ومعهم عبد الرحمن وسعيد فأقلتهم العربة الى دار التحقيق ولما بلغوها وجدوا رياضاً ونائلاً قد وصلوا في قطار الصباح ومعهما الصبي حمدان

* * *

ساعة كان المدير ومن معه يطرقون باب مستشفى الدكتور سوتير كان نحو ٧٠ جندياً يخرجون من باب

www.alkottob.com

المديرية ورآهم الناس وهم يسيرون سراعاً وسيف مقدمتهم الحكمدار . فلما جاوزوا شارع البورصة وجدوا الخيل مهيأة في انتظارهم فامتطوها واندفعوا قاصدين قرية الزعيم فتوح

وكانت الطبيعة قد بدأت تستيقظ من نومها وهي لا تزال تفرك عينيها .

وكان بيت الزعيم في القرية اذ ذاك مغلقاً .

وكان ابنه الصغير قائماً على ظهر البيت يرمي ببصره الى ابعد مدى فلما ترآءت له الجنود انحدر مسرعاً في سلم البيت ودفع باب حجرة واسعة فأذا والده جالس على ركبتيه وهو يلتهم فطوره التهاماً . فنظر الى ابنه وقال مستخفاً

ـ لقد جاؤا اذن

ـ نعم يا ابي

ـ وكم عددهم ؟

لا يقلون عن ٧٠ جندياً

ـ فليكونوا ٧٠٠ فامرهم لا يهمني

ـ لقد نجوت يا ابتي من يد الحكومة في كثير من



وقائعك المعروفة اما في هذه المرة فانك لا تنجو .

ـ صدقت يا فتى

ـ ان هذه الدائرة الدموية التي رسمها الخبيث عبد الرحمن برأس خنجره على صدرك ستوردك موارد الهلاك حتماً فليتك يا والدي . .

فقاطع الزعيم ابنه وصاح به !

ـ ا كنت تريد ان اهرب ؟

ـ كلا

ـ فهل تحب ان تراني سجيناً او معلقاً ؟

ـ هذا لا يطاق

ـ اذن فأنت مستعد

ـ اتم استعداد يا والدي

ـ فارفع يدك فقد انتهيت من فطوري وهؤلاء الفيران الذين ارسلهم المدير للقبض علي يجب ان لا يروني الا جثة ..

فرفع الولد مسدسه الى رأس أبيه وقال : ولنفرض

www.alkottob.com

يا ابي ان يد الحكومة عجزت عن الوصول اليك فكيف تطيق أن تعيش بعد ان قهرك ذلك الصبي وجعلك احدوثة بين الناس .

ثم ختم كلامه برصاصة رمى بها رأس ابيه الزعيم . فخر كانه ثور عظيم ...

اما الشيخ الخبيث صاحب سيدفكان جزاءه بعد ذلك الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ولم يمكث في سجنه الا قليلاً حتى تعجلت روحه نار الجحيم . فقد انتهز في بعض الايام غفلة الحارس فالقى بنفسه في نهر النيل طلباً للانتحار وحسبوه يريد الهرب فأخذته بنادق الحراس من كل جانب .

وهكذا زهقت روحه الخبيثة بين الماء والنار .

وكانت ام حمدان بعد ان قبض على الشيخ زوجها قد قربتها الساحرة اليها وادخلتها في مزرعتها . فلما اتاهم نعي الشيخ السجين زادت والدة الساحرة في اكرام المرأة وولدها

ولم تلبث ان عقدت لها على سعيد

فهنأ حمدان امه بهذا الزواج الجديد

وقضوا في جوار الساحرة ونائل ايامًا كانت الشهد واحلى



## الفصل العشرون

### ( الخاتمة )

مضى شهران على ليلة الهجوم

وفي ذات ليلة برزت مزارع البدو من الانوار في حلة وهاجة وكانت مزرعة نائل ابهاهن رونقاً واسطعهن نوراً .

ذلك لانهم كانوا يحتفلون في تلك الليلة بزفاف الساحرة اليه .

وكان على مقربه من السرادق الكبير جماعة منفردين الى مائدة وهم في سرور لا يوصف .

ولم يكن هؤلاء الجماعة غير الفتيان الثلاثة ومعهم نائل والدكتور ش . سوتير وابنته كارين

وكانت كارين جالسة الى يمين شفيق لا يكاد بصرها يتحول عنه . ذلك ان هذه السيدة قد اصبحت عقيلة شفيق من عهد قريب .

www.alkottob.com

وقد جرى ذكر ليلة الهجوم على المزارع وما كان بعد ذلك من هلاك الزعيم . فقال شفيق : اقسم ايها الاخوان اني حرمت نخر الوقوف معكم في تلك الليلة العصيبة

فقال رياض وهو ينظر الى كاترين : لا تأسف يا صديقي فأنك في تلك الليلة اجمل منا حظاً فقد كنا نتصيد الوحوش اما انت فكنت تصيد الغزلان ...

فضحك الجماعة واحمر وجه كاترين فابتسمت لرياض ابتسامة شكر .

وبقوا في سرورهم حتى الساعة الرابعة .

وكان مأمور المركز بين المدعوين فرآه اصحابنا وهو يخرج من السرادق قاصداً لهم

فلما دنى منهم قال : لقد اذنت الساعة الرابعة فخذوا اهبتكم للسفر ايها السادة .

فقال نائل لا تزعجنا يا سيدي بذكر السفر فأصدقائي لا يبرحون هذه الناحية الا بأمري وحبذا لو قضينا العمر معاً .

فقال المأمور باسماً : ولكن الامر ليس لك ياسيدي



فأنا المأمور وامركم هنا بيدي فينبغي ان تتأهب انت ورفاقك للسفر حالاً والا حملتكم على السفر قوة واقتداراً .

وظن نائل انها مداعبة فقال : والي اي البلاد تريد ان نسير؟ فبسط المأمور يده وقال في ابتهاج : الي التشرف بمقابلة المليك وهذه رقعة الدعوة وصلت الي من المديرية الساعة مع رسول خاص ..

وكانت كاترين اول من تلقف الرقعة ثم قالت وصوتها يتهدج حبوراً وغبطة : تأهبوا ايها السادة فهذا كتاب كريم فيه دعوتكم الى مقابلة الجناب العالي في الساعة العاشرة من صباح اليوم بقصر رأس التين .

ثم مالت برأسها الى شفيق فقالت له همساً : لعلك ايها الحبيب لا تنساني في اشرف مواقفك .

* * *

وصل القطار الى الاسكندرية في الساعة الثامنة ونزل منه الاصدقاء الاربعة . فلما بلغوا قصر رأس التين أذن لهم من فورهم في الدخول بين يدي الخديوي توفيق فلقوا من

www.alkottob.com

لدنه منتهى الرعاية والبشاشة .

وقد جعل يلاطفهم واحداً فواحداً ثم استقصهم قصة النعيم وما كان من امرهم معه ليله الهجوم .

ودخل اثناء ذلك الامير الصغير عباس ووجهه يطفح سروراً فقال الخديوى : انظر يا بني فهؤلاء الفتيان الذين كان حديثهم موضوع سمرنا الليلة البارحة فضع يدك في ايديهم فان هذا يسرني

وبعد ان صافحهم البرنس اشار الخديوى الى احد حجابه فقال :

اذهب بهم الى سلاملك الحرم ليكتبوا اسمائهم في سجله فهم زهرة الشبيبة المصرية في عصرى وينبغي ان تبقى اسمائهم خالدة في بلاطي .

وعادوا بعد اذ كتبوا اسماءهم فقال المليك وهو ينظر اليهم معجباً :

ليس كل اعجابي بكم ايها الابناء النجباء انكم كفيتم اولادى واخوانكم اهالي الدلتا شر سفاح معتد اثيم كانت اخباره المزعجة لا تنقطع ساعة ولكنكم قررتم في تلك



الليلة المخيفة التي سأذكرها لكم دائماً بالفخر مبدءاً هو كرم المبادئ واحبها الي الا وهو مبدأ وحدة الوطنيه . ان الشقي الخسيس سيداً في اعتداءه على ابنة عمه الفتاة النبيلة في تلك الليله لم يجد ما يقاتل به خصمه الشجاع الشريف رياضاً غير هدم هذا المبدأ .

اراد الشقي في موقف كهذا ان يتخذ من الدين سلاحاً يفتبه في عضد خصمه فكان جزاءه فيما لقي . وكذلك فليكن جزاء كل ناعق بالتفريق في الوطنية . فمصر وطننا العظيم لا تقبل ارضه مسلماً او قبطياً وانما تقبل وطنيين مصريين فقط .

وكان الامير الجليل يتكلم وعيناه تسطعان بنور الوطنية المقدس .

فأنحنى الفتيان شكراً واخلاصاً

ثم مد لهم يده علامة الانصراف فقبلوها وانصرفوا وهو يشيعهم ببصره فلما توارو ارفع يده الى جبينه وقال يخاطب نفسه :

ليت لي ايها الفتيان بكل الف واحداً منكم .

www.alkottob.com

ثم نحن الساعة السادسة حتى كان الاصدقاء جلوساً الى مائدته في مزرعة نائل .

وفيما هم يذكرون الخديوي وحسن احتفاءه بهم نظرت كاترين الى ابيها نظرة طويلة . فوقف الدكتور رافعاً قبعته وهو يقول

اني اهنئكم يا ابنائي . اما انت يا بنيه فلا تطيلي النظر اليّ فقد عدلت عن رأيي واصبحت اشهد بحق ان في مصر فتياناً .

( انتهت الرواية )

تظهر قريباً رواية ( زهرة الكتان ) بقلمنا وفيها من غريب الحوادث وجليل المبادئ ما ينشده كل مصري كريم .

محمد عبيد

www.alkottob.com